٤- كتَاب آداب النَوم والاضْطِجَاع

وَالقعُود والمَجلِس وَالجليس وَالرّؤيَا

١٢٧- باب ما يقوله عند النوم

الحديث رقم (٨١٤)

٨١٤- عن البَراء بن عـازِبٍ رضـي الله عنهمـا، قَـالَ: كَـانَ رسـول الله ﷺ إذَا أوَى إلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نفسي إلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وَألْجَأتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْكَ، لاَ مَلْجَأ وَلاَ مَنْجا مِنْكَ إلاَّ إلَيكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أرْسَلْتَ)) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه[٢].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأت ظهري إليك: أسندتُه، والمراد: توكلت عليك واستعنتُ بك[٣].

---

(٢) بل في الدعوات، برقم ٦٣١٥ من حديث المسيب بن رافع، عن البراء، وزاد في آخره: (وقال رسول الله ﷺ: من قالها ثمّ مات تحت ليلته مات على الفطرة). الجمع للحميدي ٥٢١/١ رقم ٨٥١. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣ بلفظ المتفق عليه الذي يورده المؤلف بعد هذا الحديث، ثم قال: وفي رواية للبخاري، والترمذي ثمّ ذكر الزيادة التي في آخر الحديث.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج أ).

الشرح الأدبي

هذا الدعاء من الأدعية الجامعة، وله تركيب مختلف في مكوناته، وأساليبه، ولعل ذلك يرجع إلى الغرض منه؛ لأنه دعاء النوم، وهو موت أصغر (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1] حيث يفقد الإنسان سيطرته على جوارحه، ويكون في عالم مختلف فتضمَّن كل ما يحتاج المودع إليه من عناصر منها:

أولاً: الطهارة الظاهرية، والباطنية حتى إذا ما قدر له الموت كان طاهراً، وهو ما أشار إليه أسلوب الشرط الذي يجعل ذلك عادة للمؤمن (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ).

ثانياً: الاستسلام، والتفويض، والاعتماد عليه، والتي عبَّرت عنها الأفعال الماضية، مع الجار المتصل بالضمير العائد على الله (أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي) والتي تفيد تحقق معانيها.

ثالثاً: التبرأ من كل حول، وقوة إلا من حول الله، وقوته، وقد جاءت في أسلوب القصر (لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ) الذي يقصر الملجأ، والمنجى إليه دون غيره.

رابعاً: تجديد الإيمان بالله، وبكتبه، ورسله (آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) ثم إن الدعاء تخللته تراكيب تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً كلفظ (اللهم - رغبة - رهبة - ملجأ - منجا) وهي ألفاظ تسبر غور النفس التي تتنازعها مشاعر القلق والأرق، والفرق، فتفرغ في هذا الدعاء تلك المشاعر في توكل على الله يضمن حفظها، ولذلك كان جزاء قائلها إن مات أن يموت على الفطرة، وقوله: (مت على الفطرة) كناية عن كمال الإخلاص، وكمال الطهر، لأنهما أصل الفطرة- والله أعلم -.

---

(١) الزمر الآية ٤٢.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبّة ليست بواجبة:

إحداها: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النوم على طهارة، مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشياطين به في منامه وترويعه إياه.

الثانية: النوم على الشق الأيمن؛ لأن النبي ﷺ كان يحبّ التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه.

الثالثة: ذكر الله تعالى، ليكون خاتمة عمله)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢/١٧/٩، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١١٣-١٢١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤١.

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٠) مع زيادة في آخره.

الحديث رقم (٨١٥)

٨١٥- وعنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((إِذَا أتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ لِلْصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَن، وَقُلْ...)) وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: ((وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

مَضجَعك: موضع اضطجاعك[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان توجيهاً عملياً من الرسول ﷺ والصحابي هو الذي نقل الحديث عن فعله ﷺ وفي هذا الحديث توجيه للصحابي من الرسول ﷺ، وقد بدأه بأسلوب الشرط الذي يربط إتيان المضجع بالوضوء حتى يصير عادة يعتادها، ثم إنه استخدم التشبيه البليغ للتوضيح، والبيان مع الترغيب في قوله (فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ) وهو طهارة ظاهرية، وباطنية، وفي الجملة جناس يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقد جاء قوله: (ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ) تَوجُّهاً إلى الله تعالى بالقلب، وتوكلاً، واتباعاً لسنة نبيه ﷺ بالجسد، ثم أمره بالدعاء المذكور في الحديث السابق...).

المضامين الدعوية[3]

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٣١١، ومسلم ٥٦/٢٧١٠. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ض ج ع).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الرواية الأخيرة من الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (٨١٦)

٨١٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصلِّي مِنَ اللَّيْلِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإذا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، حَتَّى يَجيءَ المُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فيُؤذنه: فيُعلمه بالصلاة[2].

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأسلوب خبري يرجع إلى عمق الماضي عن طريق فعل الكينونة، وقولها (يصلي) بصيغة المضارع تصوير للحدث، وقولها (من الليل) من للتبعيض أي: بعض الليل، (فَإذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) أسلوب شرط يحكي عادة تتكرر كل ليلة، ويربط صلاة الركعتين بطلوع الفجر، وقولها: (ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ) استخدام حرف العطف (ثم) يشير إلى فترة زمنية بين الآذان، والإقامة، وتخصيص شقه الأيمن؛ لأنه كان يحب التيمن في كل شيء، وقيل: حِكْمَته أَنْ لا يَسْتَغْرِق فِي النَّوْم لأَنَّ الْقَلْب فِي الْيَسَار فَفِي النَّوْم عَلَيْهِ رَاحَة لَهُ فَيَسْتَغْرِق فِيهِ، وَفِيهِ كَلام لأَنَّهُ صَحَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام كَانَ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه. نَعَمْ يَجُوز أَنْ يَكُون فِعْله لإِرْشَاد أُمَّته وَتَعْلِيمهمْ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الفقهية الآتية:

الحكم الأول: حكم صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في حكم صلاة الوتر. فذهب المالكية والحنابلة إلى أن الوتر سنة مؤكدة[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٠ واللفظ له، ومسلم ٧٣٦/١٢١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٣) أشرف المسالك ٥٦/١ لشهاب الدين البغدادي المالكي، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١.

وذهب الشافعية إلى أن الوتر سنة[١]. واختلفت الرواية عن الإمام أبي حنيفة: فروى حماد بن زيد عن الإمام أبي حنيفة إلى أن الوتر فرض.

وروى يوسف بن خالد أن الوتر واجب، وروى نوح بن أبي مريم المروزي أن الوتر سنة وبه أخذ أبو يوسف ومحمد[٢].

الحكم الثاني: مقدار صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في مقدار صلاة الوتر.

فذهب الحنفية إلى أن مقدار صلاة الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة وهي أقل صلاة الوتر، ويزيد إلى إحدى عشرة ركعة. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص. وقالوا لا ينبغي أن يؤقت شيء من القرآن في الوتر[٣].

وذهب المالكية إلى أن الوتر ثلاث ركعات يفصل بينهما بسلام، ويقرأ في الشفع في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الوتر الإخلاص والمعوذتين[٤].

وذهب الشافعية إلى أن أقل الوتر ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، وأدنى الكمال ثلاث، وأكمل منه خمس ثم سبع ثم إحدى عشرة. ويقرأ من أوتر بثلاث بعد الفاتحة في الأولى الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص ثم الفلق ثم الناس[٥].

وذهب الحنابلة إلى أن الوتر أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسن فعل الركعة عقب الشفع بلا تأخير. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص[٦].

---

(١) المهذب للشيرازي ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٠٥/١، والهداية ٦٦/١.

(٣) البدائع ٦٠٩/١، ٦١٠.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٤٢/١.

(٥) المهذب ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٦) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٢٦٤/١، الإقناع ١٤٣/١.

ووقت صلاة الوتر ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح.

الحكم الثالث: حكم ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في حكم ركعتي الفجر: فذهب المالكية إلى أن ركعتي الفجر سنة ويقرأ فيهما بفاتحة الكتاب[(١)].

وذهب الشافعية إلى أن ركعتي الفجر سنة بل إن ركعتي الفجر وصلاة الوتر من أوكد السنن، ويقرأ فيها من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ ومن آل عمران: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أو الشرح والفيل، أو الكافرون والإخلاص[(٢)].

وذهب الحنابلة إلى أن ركعتي الفجر سنة، وسن تحفيف ركعتي الفجر، ويقرأ فيها بعد الفاتحة في الأولى الكافرون والإخلاص، أو ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وفي الثانية ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ ..﴾[(٣)].

الحكم الرابع: حكم الاضطجاع بعد ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في ذلك فذهب المالكية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر إن أريد به الفصل بين الفجر والصبح فيكره، وإن كان لغير ذلك فلا بأس به[(٤)].

وذهب الشافعية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر مندوب[(٥)]، وذهب الحنابلة إلى أنه يسن الاضطجاع بعد الفجر[(٦)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثاً: من صفات الداعية: قوة الصلة بالله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٢٠٥/١، وأشرف المسالك ٥٦/١.

(٢) المهذب ١٥٦/١، وفقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٣) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والكافي ٢٦٤/١، والإقناع ١٤٦/١.

(٤) المدونة الكبرى لمالك ٢١٠/١، وفقه العبادات على المذهب المالكي ٢٠٠/١.

(٥) فقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٦) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والإقناع ١٤٦/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لصلاة النبي ﷺ في الليل فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والحديث يبين سنة من سنن النبي ﷺ التي ينبغي الاقتداء بها، وهي صلاة الليل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(١)] فإن التقرب إلى الله بالعبادات أقوى الأسباب لتزكية النفس[(٢)] وفي الصلاة وقيام الليل خضوع وذل لله، وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه[(٣)].

وقيام الليل من جملة الأعمال الصالحات، التي تجعل صاحبها يستحق الرعاية الحسنة من الله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[(٤)] إضافة إلى ما يلقيه الله لصاحب العمل الصالح من محبة في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[(٥)] وغير ذلك من النتائج الطيبة التي يزداد بها نشاط الإنسان في القيام بالأعمال الصالحة التي لها الدور الفعال والأثر البين في بناء شخصية المسلم بناءً دينياً على أسس قوية[(٦)].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٨.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي ص ١١.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٠.

(٥) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٦) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ١٧٤، ١٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر:

ورد في الحديث التصريح بصلاة النبي ﷺ لركعتي سنة الفجر ركعتين خفيفتين "فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والمقصود بقوله "فيصلي ركعتين خفيفتين" هما سنة الصبح، وفيه دليل على تخفيفهما[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: قوة الصلة بالله:

وردت في الحديث علامة من علامات قوة الصلة بالله وهي صلاة الليل، فقالت عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل..." وأولى الناس بتقوية صلته بالله هو الداعية، إذ أن الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وعليه أن يُمتِّن صلته بالله لتكون دعوته نابعة في قوله وفعله، فالاجتهاد في الطاعات والتقرب بها إلى الله عز وجل من أقوى أسلحة الدعاة، ذلك لأن للطاعات نوراً ينعكس على وجوههم ووقاراً وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم، ولقد كان إمام الدعاة ﷺ يجد راحته وقرة عينه في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُبِّبَ إليَّ من الدنيا: النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلت قُرَّةُ عَيني في الصلاة))[٢][٣].

قال السيوطي: (وقوله "جعلت قرة عيني في الصلاة" إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى إنه بمناجاته تقر عيناه، وليس له قريرة العين فيما سواه، فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى)[٤].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

في اجتهاد رسول الله ﷺ في العبادة ومنها صلاة الليل، وأمر الله المؤمنين

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٣٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٦٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، وصحيح الجامع الصغير ٣١٢٤).

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٧/٧٤.

بالاقتـداء بسنته ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] ترغيب في الصلاة بالليل وإحيائه بالعبادة، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخداماً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[2].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشجيع على فعل الخير مع أصحابه رضي الله عنهم لأن المعرفة لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بل لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية، تحفز الإرادة، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والعبد عن الشر، ومن أمثلة الترغيب والتشجيع على عمل الخير وخير العمل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ تعالى: أعدَدتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[3] فهذا الحديث وغيره من أحاديث رسول الله ﷺ كانت خطاباً لقوم رغبوا في الآخرة، ورضوا بها، وزهدوا في الدنيا، ويظهر التشويق فيها جلياً، مما يزيد الراغب حرصاً على العمل والجد والمثابرة، لينال رغبته ويحظى بأمنيته[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩١.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٤، ٢٢٥.

الحديث رقم (٨١٧)

٨١٧- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أمُوتُ وَأحْيَا)) وَإذَا اسْتَيْقَظ قَالَ: ((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أحْيَانَا بَعْدَمَا أمَاتَنَا وَإلَيْهِ النُّشُورُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

المضجع: موضع الاضطجاع والنوم[2].

النشور: البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول دعاء النوم والاستيقاظ كما أنه يصف هيئة نوم النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد في أسلوب خبري في بدايته حيث بدأ بأسلوب الشرط الذي يصور هيئة نومه، وطبيعة دعائه، وقوله (إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن إرادة النوم، وقوله (وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ) يشير إلى كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم، وقوله (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا) الدعاء باللهم توجُّه لله بالكلية، وإقرار بالعبودية، والطباق بين قوله: أموت، وأحيا يقرر أن حياة المؤمن من مبدئها إلى منتهاه بيد الله يتقلب فيها وفق مراده، وفيه إشارة إلى أن النوم موت أصغر، وقوله عند الاستيقاظ (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) اعتراف بنعمة الله، والطباق بين أحيانا، وأماتنا يوضح الفارق بين الحالتين وقدرة الله، وملكه للإنسان في الموقفين، ونعمته عليه في تحصيل الفائدتين في النوم بالراحة، وفي الحياة بما فيها، وهو مستحق للحمد في كل حال.

---

(١) برقم ٦٣١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١١٨.

فقه الحديث

وضع اليد تحت الخد[1]: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من النوم وضع يده تحت خده ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. ورد هذا الحديث "إذا أخذ مضجعه عن النوم وضع يده تحت خده" وفي حديث حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: ((اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك))[2].

٢-ما يقال عند النوم والاستيقاظ: يستحب أن يقال عند النوم والاستيقاظ ما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه: (اللهم باسمك أموت وأحيا وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[3].

٣-كراهية الاضطجاع على البطن: يكره الاضطجاع على البطن، لأن هذا الاضطجاع يبغضه الله تعالى، ويستحب أن يكون الاضطجاع على شقه الأيمن، وأن يكون على وضوء[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى.

أولاً- من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ:

إن من أوجب المهام على الداعية تبليغ المدعوين بسنة نبيهم ﷺ وتبيينها لهم، ومن

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٤٥/٤.

(٢) اخرجه أبو داود ٥٠٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٠٤٥).

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٤٥/٤.

(٤) المرجع السابق ٣٤٥/٤.

ذلك ما جاء في بيان حذيفة رضي الله عنه لحال النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم فقال "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده" أي وضع كفه الأيمن، لأنه يحب التيمن في شأنه كله، وليعلم أمته[١]، ثم يقول "اللهم باسمك أموت وأحيا" وإذا استيقظ قال "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا" أي أيقظنا بعد أن أنامنا[٢]؛ إذ أن البيان من أهم الواجبات على الداعية، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه لهم، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[٣] وقال ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[٤] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[٥].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

إن من الأذكار العظيمة، التي كان يواظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم، وعند الانتباه منه، ما جاء في الحديث: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور).

قال القاضي عياض: "(باسمك أحيا وباسمك أموت)، ومعناه: يحتمل أنه يريد بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، ويحتمل أنه يريد: بك أحيا وبك أموت أي أنت تحييني وأنت تميتني.

وقوله: (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) يريد بالموت هنا النوم، وأصل الموت في كلام العرب السكون، فنبه صلى الله عليه وسلم بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت"[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٢١١ - ٢١٢.

وقال النووي: "قيل معناه: بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، وقيل: بك أحيا أي: أنت تحييني وأنت تميتني، وإنما ذكرت الحياة والموت بهذه المناسبة، لأن النوم شعبة من الموت، كما أن اليقظة عودة إلى الحياة الكاملة"[١].

أما الحكمة من ذكر الله تعالى عند النوم والاستيقاظ، فقد أشار إليها كثير من العلماء: قال القاضي عياض: "وحكمة الدعاء إذا ما أراد أن ينام، ليكون ذكر الله آخر كلامه، وفائدته إذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الإيمان بالله وذكره، والاعتراف بأن الأمور كلها له وبيده، ويفتح يومه بالكلام الطيب"[٢].

وبنحو ذلك قال النووي: "قال العلماء: وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله ذكر الله تعالى، وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب"[٣].

وقد ورد في غير هذا كثير من الأذكار عند النوم واليقظة، ومنها ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ))[٤].

ومنها أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ. فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ. وَلْيَقُلْ:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٢/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٦٨٢٠.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي. وَبِكَ أَرْفَعُهُ. إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا. وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))[١].

وفي هذا إشارة إلى أن المسلم لا غنى له عن ذكر ربه طرفة عين عند نومه ويقظته، وفي جميع شؤونه، فها هو عند النوم يختم أعماله بذكر الله، وعند الانتباه يكون أول أعماله ذكر الله، ثم هو في جميع أحايينه محافظاً على ذكر الله، فعلى ذكره سبحانه يحيا وعليه يموت وعليه يبعث يوم القيامة[٢]، إضافة إلى ما في ذكر الله تعالى من استجلاب نعم الله عز وجل واستدفاع نقمه، ومن أكبر العون على طاعة الله عز وجل، ويسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فالذكر يعطي الذاكر قوة عظيمة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه[٣].

كذلك من ألوان فضل ذكر الله تعالى عند النوم واليقظة طرد الشيطان وقمعه وإزالة ما يعقده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاَثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ. بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً. فَإِذَا اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. وَإِذَا تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ. فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ. فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ. وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ))[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

وذلك امتثالاً واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته وهديه عند النوم والاستيقاظ كما جاء في الحديث: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، إذ أنه على المدعو عند نومه أن يكون متذكراً لأمرين، ما مضى من أيامه فيحمد الله على ما

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٣٠.

(٢) ذكر الإمام ابن القيم ما يربو على سبعين فائدة وثمرة للذكر، انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٨٢ - ١٥٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦ واللفظ له.

أمده فيها من الصحة والعافية، والمطعم والمشرب، والمسكن وغير ذلك، وأن يتذكر ما يستقبل من أوقاته، وهو فيها بين أمرين إما أن تقبض روحه فهو يسأل الله إن كان ذلك المغفرة والرحمة، أو أن يُفسح له في أجله فهو يسأل الله في هذه الحال أن يحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين[(١)].

وفي أدعية المسلم عند نومه إقبال على مولاه يقظة ونوماً، فلا يقضي به نومه لتكاسل أو تباطؤ عما طلب منه، ولا تيقظه لغفلة عما طلب منه من دوام مراقبة وحضور[(٢)]، وفي ذلك دخول للعبد في قائمة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وفيمن يذكرون الله قياماً وقعودًا وعلى جنوبهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[(٣)]، الذين زيّن الله ألسنتهم بالذكر، وعقولهم بالفكر وقلوبهم بالخشية والاطمئنان، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، الأذن الصماء واليد الشلاء[(٤)].

قال ابن عثيمين في شرح الحديث مبيناً أهمية ذكر الله والاقتداء في ذلك برسول الله ﷺ، وأن ذلك من نعم الله وعطاياه: "شاء الله أن يمن علينا، فشرع لنا أذكاراً عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، كل هذا من أجل أن تكون أوقاتنا معمورة بذكر الله عز وجل، ولولا أن الله شرع لنا ذلك لكان بدعة، ولكن الله شرع لنا هذا من أجل أن تزداد نعمته علينا بفعل هذه الطاعات.

فمنها هذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن حذيفة، وأبي ذر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك اللهم أحيا وأموت)، إذا أوى يعني: إذا ذهب إلى

(١) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٥٠٧.

(٣) سور آل عمران، آية: ١٩١.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢٣.

فراشه وأراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت، فهو المحيي يحيي من يشاء، وهو المميت يميت من يشاء، فتقول: باسمك اللهم أحيا وأموت. أي: أموت على اسمك، وأحيا على اسمك، ومناسبة هذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَا﴾[2].

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)، فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور - يعني الإخراج من القبور- يكون إلى الله عز وجل، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: (الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أماتنا وإليه النشور)، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم، الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق، وتنشيطاً للبدن فيما يُستقبل، وأنه يذكّر أيضاً بالحياة الأخرى، إذا قمت من قبرك بعد موتك حيّاً إلى الله عز وجل.

وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، فلولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يُبعث ويجازى على عمله ما عمل، ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[3]، وآيات كثيرة في هذا. فالمهم أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول: (باسمك اللهم أحيا وأموت) وإذا استيقظت تقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) والله الموفق"[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٢٧/٢ - ١٥٢٨.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى:

فكما جاءت النصوص التي تدل على فضل ذكر الله تعالى عند النوم، ورد عن رسول الله ﷺ ما يدل على كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ))[1] أي حسرة ونقصاناً[2].

لأن الإعراض عن ذكر الله خسارة لا تدانيها خسارة، وبذلك صرح القرآن ،وأخبر عن خسران من لها عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3] وجاء في الحديث الترغيب في ختم المسلم يومه بذكر الله تعالى وذلك قياساً على بقية الأعمال فإن الأعمال كلها، أرشد القرآن إلى ختمها بذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4] وختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾[5] وختم به الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[6] وختم به الجمعة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[7] فمن كان سبيله ختم أعماله

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٦٥)

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٩.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) سورة الجمعة، آية: ١٠.

وأيامه بذكر الله تعالى فإنه يرجى أن يكرمه الله، بأن يختم حياته بذكر الله تعالى، وإذا كان آخر كلام العبد ذكر الله أدخله الله الجنة[1].

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٢٦٣، ٢٦٤.

الحديث رقم (٨١٨)

٨١٨- وعن يَعيشَ بن طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ أَبي: بينما أَنَا مُضْطَجعٌ في الْمَسْجِدِ[١] عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي برجلِهِ، فَقَالَ: ((إنَّ هذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ))، قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ. رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

طخفة الغفاري: هو صحابي اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً: فقيل: طِهفة بن قيس [بالهاء] وقيل: طِخفة بن قيس [بالخاء]. وقيل طغفة [بالغين] وقيل: طِقفة [بالقاف والفاء]. وقيل: قيس بن طخفة. وقيل غير ذلك.

وليس له إلا هذا الحديث الواحد في النهي عن النوم على البطن، وكان فقيراً فعاش مع أصحاب الصفة في المسجد، وأول هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل[٣]: كان أبي من أصحاب الصفة فأمر رسول الله ﷺ بهم، فجعل الرجل ينقلب بالرجل، والرجل بالرجلين، حتى بقيتُ خامس خمسة، فقال رسول الله ﷺ: انطلقوا. فانطلقنا معه إلى بيت عائشة فقال: يا عائشة أطعمينا. فجاء بحَشيشة[٤] فأكلنا ثم جاءت بحَيْسة[٥] مثل القطاة، فأكلنا ثم قال: يا عائشة أسقينا فجاءت بعُسٌّ[٦] فشربنا، ثم

---

(١) عند أبي داود زيادة: (من السحر).

(٢) برقم ٥٠٤٠. وذكر الدارقطني في العلل ٢٩٩/٩ الاختلاف في إسناده ثم قال: يرويه أبو سلمة، عن ابن طهفة الغفاري، عن أبيه، وهو الصواب. وكذا قال الحاكم في المستدرك ٢٧١/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥١٥ مختصرا كما هنا، ومطولاً برقم ٤٥١٤ وعزاه إلى أحمد وابن حبان.

(٣) ٣٠٧/٢٤ وهو عند أبي داود وابن ماجه ٧٥٢.

(٤) الحشيشة هي ما يحش من الحب فيطبخ. والحش: طحن خفيف فوق الدقيق قاله السندي في حاشيته على مسند أحمد بن حنبل.

(٥) الحيسة: هي أخلاط من تمر وسويق وأقط وسمن مجمع فيؤكل. والقطاة: نوع من الحمام. وكأنه شبه في القلة.

(٦) العُسُّ: قدح ضخم.

جاءت بقدح صغير فيه لبن فشربنا، فقال رسول الله ﷺ: ((إن شئتم بتُّم وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد. فقلت: لا، بل ننطلق إلى المسجد. فبينا أنا من السحر مضطجع على بطني...)) الحديث.

وقد ذكره البخاري في التاريخ الأوسط في فصل من مات ما بين الستين إلى السبعين[1].

غريب الألفاظ:

الضِّجْعة: هيئة الضجوع[2].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري تغلب على أحداثه المفاجأة التي توحي بها عبارات الحديث كقوله: (بينما أنا - إذ جاء رجل - فإذا رسول الله ﷺ) والبداية بالظرف (بينما) فيها تشويق، وإثارة تحقق اليقظة، والانتباه لما بعده، والضمير (أنا) توكيد وتقوية للحكم، والتعبير بصيغة اسم الفاعل (مضطجع) بدلاً من الفعل (أضطجع) يوحي بالاسترخاء، والاستغراق فيه لدلالة الاسمية على اللزوم، والثبات، والجار والمجرور (في المسجد) يشير إلى شرف المكان، وأنه يراعى فيه ما لا يراعى في غيره من الأماكن، وتقييد الحدث بقوله (على بطني) يشير إلى الخطأ، وقوله (إذ جاء رجل) يمثِّل بداية تحول الأحداث، وتصحيح الخطأ وقوله: (يحركني برجله) تنبيه، وتمهيد قبل تقرير الحكم لاحتمال النوم، والغفلة، ثم جاءت عبارته مؤكدة بأكثر من مؤكد ً)إنَّ هذه ضِجْعَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ) وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بالإضافة إلى أن صياغة المسند

---

(١) التاريخ الكبير ٣٦٥/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩٧/٣ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٤٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٩٩/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(ضجعة) على اسم الهيئة والجملة التي وصفت بها تقرر أنها سبب الذم لبغض الله لها، وتعلُّق فعل البغض بالله يصعِّد الإحساس بالخطأ، ويبين خطره، لأنه يسبب غضب الجبار.

فقه الحديث

يكره الاضطجاع على البطن، لحديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء:

إن الداعية يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بمدعويه، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، وفي الحديث ضرب النبي ﷺ أنموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تفقدٍ لأحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء، فعن يعيش بن طفخة رضي الله عنه قال: قال أبي بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ، والسنة النبوية مليئة بالنماذج لملاحظاته ﷺ وتفقداته لأصحابه"[2]، ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللّهِ رَأَىٰ خَاتماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ. فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: ((يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)) فَقِيلَ لِلرَّجُلِ، بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللّهِ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لاَ. وَاللّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَداً. وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللّهِ[3]، وتلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء مجتمعه الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٩٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٠٩٠.

حية واقعية، تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم والرفع من مستواهم[١].

لقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، والأمثلة الدالة على اهتمام رسول الله ﷺ بالناس ومواساته لهم وتشجيعهم إن اصابوا، وتقويمهم إن أخطأوا كثيرة، منها ما روي عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يوماً وليلةً، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيماً رَفيقاً، فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهينا أهلَنا ـ أو قد اشتَقْنا ـ سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم))[٢].

كما كان ﷺ يتفقد المرضى ويزورهم في بيوتهم ويدعو لهم ويصلي عليهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ماتَ إنسانٌ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُهُ، فماتَ بالليلِ، فدَفنوهُ ليلاً. فلمَّا أصبحَ أخبروهُ فقال: ((ما مَنَعَكم أن تُعلِموني؟)) قالوا: كان الليلُ فكرِهْنا ـ وكانت ظُلمةٌ ـ أن نشُقَّ عليك. فأتى قبرَه فصلَّى عليه[٣].

لذا لا بد للمربي والداعية أن يقرن اهتمامه بمدعويه بالمحبة والشفقة والتوجيه للصواب، فإن المدعو والمتلقي الذي يشعر أن مربيه يحبه ويعطف عليه، لا شك أنه سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة مربيه وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه"[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم:

إن من الآداب التي ينبغي الحرص عليها عند النوم اتباع السنة في ذلك، ومن ذلك ما ورد في الحديث من النهي عن النوم منكباً على الوجه والبطن مبيناً ﷺ العلة في

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ٧٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٢

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٣.

كراهة ذلك فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال العظيم آبادي: "وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز وأنه ضجعة الشيطان"(١)، كما ذكر النبي ﷺ علة أخرى لكراهة النوم على البطن هي مشابهة أهل النار في نومهم(٢)، فروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي. فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ((يَا جُنَيْدِبُ إِنَّمَا هذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ))(٣).

ففي الحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه، لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس، لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به لأن هذا لحاجة(٤)، وإنما السنة: النوم على الجانب الأيمن كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: ((إِذا أتيتَ مَضجَعَكَ فتَوَضَّأْ وُضوءَكَ للصلاةِ، ثمَّ اضْطَجِع على شِقِّكَ الأيْمَنِ))(٥)، فإن ذلك أنفع ما يكون بالقلب، وأسرع لانتباه النائم لتعلق القلب وعدم انغماره بالنوم(٦)، إضافة إلى ما في ذلك من كونه أصلح للبدن، كما نص على ذلك الأطباء(٧).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه:

إن من خصائصه ﷺ إيتاؤه وتمكنه من جوامع الكلم، والحديث فيه ما يدل على ذلك ففي قوله ﷺ: (إن هذه ضجعة يبغضها الله)، فقد جمع ﷺ فيه عدة معانٍ، منها النهي مع توكيده، إضافة إلى ذكر العلة التي من أجلها نهى عن

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢١٥٨.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٣٧٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٦٥٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣١١، اخرجه مسلم ٨٠٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٣.

(٧) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢١٨.

الاضطجاع على البطن لأنها ضجعة الشيطان والكفار، وفي ذلك دلالة على ما أكرم الله به رسوله ﷺ من جوامع للكلم، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[١]، والمقصود بجوامع الكلم هي الكلمات الجامعة الوجيزة التي تحمل معاني كثيرة[٢]، فجوامع الكلم، تقع فيها المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة[٣].

"لذا ينبغي على الداعية التأسي برسول الله ﷺ في عرض دعوته بالابتعاد عن الكلام المرسل وتجنب التطويل، وذلك حفظاً للذاكرة من الكل، وحفاظاً على قدرة الفكر على الاستيعاب"[٤]، فإن التطويل وملء الحديث بالحشو من الكلام ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريغها[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٧٧، ومسلم ٥٢٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٦/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٦.

(٤) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء لنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ ورقم طبعة، ص ٧٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار المدينة المنورة: ١٩٨٤م ص ١٠٣٢.

الحديث رقم (٨١٩)

٨١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجَعاً لاَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أبو داود[1] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التِّرة: النَّقص، وقيل: التبعة[2].

الشرح الأدبي

الحديث أساليبه خبرية بدأ مؤكداً بـ (إن) مع اسمية الجملة بياناً لأهمية الخبر المسوق، وقد جاء المعنى النبوي في ثوب الشرط الذي يحقق التشويق، ويربط الفعل بالجزاء وجوداً، وانتفاءً، وفعل الشرط (قعد) في الماضي الدال على التحقق بقيد (لم يذكر الله فيه) وجملة الجواب (كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ) في صيغة الماضي المتحقق، وتقديم خبر كان على اسمها يفيد اختصاصه وحده بالترة، وهي المنقصة، والحسرة، والندم، وتقييد ها بالجار، والمجرور (من الله) يصعِّد الرهبة ويعظِّم الإحساس بخطر الغفلة عن ذكر الله، ثم إن الجناس في قوله: (قعد مقعداً) يأخذ السمع، ويلفت الانتباه للمعنى، ويؤكده.

وقوله (وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ) أسلوب شرطٍ ثانٍ يتفق مع ما قبله في الصياغة، وفي القيد (لا يذكر الله فيه)، وفي جواب

---

(١) برقم ٤٨٥٦. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٣)، وقال الترمذي ٤٦١/٥: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ٥٥٠/١: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠. وسيكرره المؤلف برقم ٨٣٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر هـ).

الشرط المترتب على الفعل بقيده، ويختلف مع سابقه في فعل الشرط (من اضطجع مضجعاً) الذي يقرر تغير الحالة من القعود إلى الاضطجاع، ليشمل أكثر الحالات التي يستخدمها الناس في مجالسهم مع خلوها عن ذكر الله الذي سبب ذم هذا المضجع، وجعله حسرة، وندامة على صاحبه.

والحديث يثمِّن غالياً قيمة الذكر، ويجعله سبب الفلاح، والسعادة في الآخرة؛ لأن ضده، وهو الغفلة يحقق الحسرة (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [مريم: ٣٩].

فقه الحديث

يكره لمن قعد في مكان أن يفارقه قبل أن يذكر الله تعالى، لحديث الباب[(١)].

وبوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع.

ثانياً: من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع:

لقد رغّب الإسلام في ذكر الله عامة في جميع الأحوال ومختلف الشؤون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[(٣)]، وقال:

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٢/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٤٧/٣.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[١]، وجاء في الحديث بيان ما ينبغي من ذكر في المجالس وعن الاضطجاع فقال ﷺ مرهباً من خلوهما من الذكر: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، والترة بمعنى النقص والتبعة[٢]، وذلك ما يدل على أهمية الذكر، وتجميل المجالس والمضاجع به، ففي الإعراض عنه حسرة وندامة، لأن خلو المجالس ونحوها من الذكر تضييع لرأس المال من زمان ومكان وفواتٍ للربح، وأية حسرة أعظم من ذلك؟[٣].

وأي فضل أعظم من أن يباهي الله ملائكته بالذاكرين ومجالسهم، وقد تظاهرت النصوص على ذلك، فروي عن معاوية رضي الله عنه خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[٤].

والذاكرون هم أهل السبق[٥]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ))[٦]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٣٨/٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٦٦/٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ))[1].

ثانياً- من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك:

إن من الآداب التي ينبغي التجمل بها ذكر الله تعالى والمداومة عليه، ففي الذكر حياة القلوب، ونماء الإيمان، وزكاة النفس، وسبيل السعادة، والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحديث بيان سوء حال من يعرض عن ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، أي: حسرة وندامة، فمداومة الذكر مجانبة للشيطان، والإعراض عن الذكر تمكين للشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2].

أما كمال ذكر الله والمداومة عليه، فإنه سبب عظيم من أسباب حفظ اللسان وصونه عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والسخرية والباطل، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فما خلق اللسان إلا للكلام، فإن لم يتكلم بذكر الله، وذكر أوامره وبالخير والفائدة، تكلم في المحرمات أو ببعضها، فمن عوّد لسانه على ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله، نطق بكل باطل ولغو وفحش[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء في الحديث الترهيب من التجافي عن ذكر الله تعالى فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة)، وأسلوب الترهيب من أعظم الأساليب الدعوية تأثيراً في النفوس، وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب للنفس، وذلك ما يدعوه إلى أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) الفوائد المنثورة، خطب ونصائح، كلمات ومقالات، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧١ - ٧٢.

يحميها من كل شر، سواء ما كان فيه من عاجل أو آجل[١]، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى حال عباده وهم يدعونه ويتضرعون إليه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢]، وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

رابعاً- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية توجيه أنظار المدعوين إلى أبواب الخير، وتحذيرهم من أسباب التردي والخسران؛ فالواجب على الداعي الاهتمام بالمدعوين بأن يعطيهم ما عنده من الخير[٤]، ويحذرهم من الشر حرصاً عليهم، وعلى إيصال الخير لهم، ودرء الشر عنهم، وليكن رسول الله ﷺ أسوته في ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، ومن ذلك حرص الداعية على تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع وتحذيره من ترك الذكر، ففي الذكر الحياة، وهو قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته[٦].

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))، ولفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٧]. فجعل بيت

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٣٥.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٦) انظر: الوابل الصيب ٨٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر.

وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور[1]

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٢٦٩ - ٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النوم من أجلّ النعم على الإنسان، وهو دليل الأمن، وقد امتنّ الله تعالى على عباده تلك النعمة، ولهذا وجب شكر المنعم على هذه النعمة العظيمة، لأن النوم الدائم وفاة، والحياة الدائمة بلا نوم تفضي إلى الجنون، والجمع بين اليقظة والنوم من تمام النعمة وعلى هذا تكون تربية المسلم من الطرق التالية:

أولاً- التربية العقدية:

وذلك ما نلحظه من احتواء كلمات الدعاء التي كان يقولها ﷺ وما لقنها للبراء بن عازب على معاني إخلاص العقيدة والتسليم وتفويض الأمر لله تبارك وتعالى: «اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، ... آمنتُ بكتابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ» والإيمان بالبعث والنشور: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

إن التربية العقدية وإحسانها وحسن عرضها وغرسها في نفوس المتربين أساس كل خير والدافع للتحلي بكل خلق طيب جميل، "فالإنسان حين ينشأ على الإيمان منذ طفولته تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتَقَبُّل كل فضيلة ومكرمة والاعتياد على كل خلق فاضل حيث يبيت إيمانه بالله حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، وحتمية استناد الأخلاق إلى معتقدات تجعلها تتغلغل إلى أعماق النفس وتخلص الإنسان من أوزاره.

إن تصحيح العقيدة وتربية النشء على العقيدة الصحيحة والإيمان بالله يعني الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بالكلية، وهذا علاج للنفس من خلال استكشافها الضر ممن يملكها، ويعني اللجوء إلى الله، وهذا علاج للنفس من الفتور في الطاعة وعلاج لها من الطمع والاشتغال بالإصلاح الظاهر لزينة الناس وإغفال إصلاح الباطن"[1].

---

(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٥٩، ٦٠.

ثانياً- ربط الولد بالنوافل:

إن من واجبات الآباء والمربين ربط الأولاد بالنوافل كما جاء في أحاديث الباب من توجيهه ﷺ إلى نوافل الذكر كالذكر عند الإيواء إلى الفراش ونوافل الصلاة كالتهجد من الليل وصلاة ركعتين خفيفتين إذا طلع الفجر كما نرى ذلك مبثوثاً في أحاديث الباب.

لقد رغب الإسلام في النوافل والإكثار منها، وذلك "اجتهاداً في طلب رضا الله تعالى والتشمير لتنفيذ أمره ومبتغاه، ولا شك أن الامتحان في هجر الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس تربيةٌ على المجاهدة وتحرير من الخضوع لأهواء النفس"[(١)].

"إن النوافل التي ثبتت مشروعيتها من أعظم الأعمال الصالحة التي تقرِّب العبد من الله عز وجل وترسخ في نفسه حساسية التقوى وطمأنينة القلب وحلاوة الإيمان.

فاحرص أيها الأخ المربي أن تعطي لأهلك وأولادك... القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك... ليكتسبوا منك ويأخذوا عنك ويقتدوا بك... ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة... ففي الدعوة إلى الأخذ بفضيلة النافلة والعمل بعبادة التطوع.

سوف ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلة الصوم وحرصوا على العمل والتطبيق في الأوقات المخصصة والأيام المتعينة.

وهذا الربط التنفلي من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً وإعداده خلقياً ونفسياً، بل هو الذي ينشئ الولد على الإخلاص والتقوى ومراقبة الله عز وجل، واستحضار العظمة الربانية في كل الأحوال.

فإذا فعلت هذا أيها المربي الكريم فتكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في الربط الروحي والتكوين الرباني، بل يكون ولدك من الذين يُشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم"[(٢)].

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٣٩.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٨٤، ٨٣٥.

ثالثاً- الجمع بين الرجاء والخوف:

وهذا ما نلحظه فيما ورد في الدعاء عند الاضطجاع للنوم "....رغبة ورهبة إليك" فهذا الدعاء يَنُمُّ عن رجاء وخوف ورغبة ورهبة وأمل في رحمة الله وخوف من عقابه.

إن الخوف والرجاء أو الرغبة والرهبة هما جناحا الإيمان، فإن توفرا في قلب عبد صدق إيمانه واكتمل بالعمل، فهو بين رجاء ورغبة يؤمله في رحمة الله ويدفعه إلى الطاعة وبين خوف ورهبة يحذره من عقاب الله تعالى ويدفعه عن المعاصي.

لذا ينبغي على المربين غرس تلك الدوافع والموانع من الترغيب والترهيب في نفوس المتربين، فإن الرغبة والرجاء "يولدان الأمل ويبعثان على النشاط والعمل للآخرة ويحببان إلى المسلم الطاعات وينأيان به عن المعاصي ويدفعان به إلى مقاومة الشيطان، كما أنَّ الرهبة والخوف يورثان العبد الخوف من عذاب الله عز وجل، ويولدان الرهبة حتى تصير طبعاً في الإنسان توصله إلى تقوى الله عز وجل، والتي يجني العبد ثمرتها في سعادته في الدنيا والآخرة" [(١)].

من أجل ذلك يجدر بالمعلمين والمربين أن يغرسوا مثل هذه الدوافع والموانع في نفوس المتربين، فإن النفس إذا ما استحضرت الثواب والعقاب والنعيم والشقاء تخلل فيها الرغبة والرهبة والخوف والرجاء وذلك "ما يوجد لديها وازعاً نفسياً، يسموا بها إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق، بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون ذلك سبباً في اعتلاله ومرضه"[(٢)].

رابعاً- التربية الصحية:

وذلك ما نجده في التوجيه النبوي في أحاديث الباب من الوضوء قبل النوم والنوم على الجانب الأيمن، كما في قول البراء بن عازب: "كان رسول اله ﷺ إذا أوى إلى

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٥٦/٥، ٢١٩٥/٥.

(٢) انظر: نحو إنسانية سعيدة، محمد المبارك، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ، ص١٤.

فراشه"، وقوله ﷺ: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك..".

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بتربية الجسم فهو من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين، لينشأ الأطفال على خير ما ينشئون عليه من قوة الجسم وسلامة البدن ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط.

إن الاعتناء بالنواحي الجسمية لدى الأطفال بتنميتها وحمايتها أمر ضروري لتكوين إنسان كامل يؤدي مهمته على أكمل وجه، إذ لا يمكن الفصل بين هذا الجانب، وبين غيره من جوانب التربية كالجانب العقلي والجانب الاجتماعي... فهي مترابطة.

ومن واجبات الآباء والمربين في تربية الجسم تعليمهم آداب النوم، إذ أن الجسم في نموه يعتمد على الأكل والشرب والنوم، ولكي ينمو الجسم نمواً صحياً متكاملاً ينبغي أن يتبع في تناول الأكل والشرب ومواعيد النوم طرقاً منظمة لتصبح عادة وخلقاً، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على دعوة الإنسان إلى اتباع عادات معينة تساعد على تنظيم صحة الإنسان[(١)]، ومنها الوضوء قبل النوم والاضطجاع على الجانب الأيمن، كما هو واضح في أحاديث الباب.

إن "اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف النبي ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان، فإذا نام على بطنه فيؤدي ذلك إلى كثرة حكٍّ أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائماً غيَّرا من حالته وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن والابتعاد عن النوم على الصدر، فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية، والأطباء جميعاً ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن"[(٢)].

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١١٤، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٥٤، ٣٥٥.

خامساً- العناية بالتوجيه والتقويم:

إن العناية بالتوجيه والتقويم من الأمور التربوية المهمة التي يجدر الاهتمام بها، وذلك ما يظهر في توجيه النبي ﷺ وإرشاده لطفخة الغفاري رضي الله عنه ونهيه له عن النوم على البطن وكذلك في نهيه ﷺ في الحديث الآخر، عن خلو أحوال الإنسان من قعود واضطجاع وغيرها من ذكر الله تعالى فقال ﷺ: من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تره، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة"، وبهذه العبارات الموجزة وجه النبي ﷺ الأنظار إلى الخطأ والحض على تغييره وإصلاحه، وبهذا نجد أن الرسول ﷺ قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة الأخطاء التي قد تقع من الولد وتأديبه، وتقويم اعوجاجه، وتكوينه الخلقي والنفسي، حتى يأخذ المربون بأحسنها ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة، ولا بد أن يصلوا في نهاية المطاف إلى إصلاح الولد وتهذيبه وجعله إنساناً مؤمناً تقياً"[(١)].

إن الاهتمام بتربية الطفل والعناية به وتقويم سلوكياته وتوجيهه وإرشاده إلى الخطأ وتجنبه هو "حجر الأساس الذي يرتكز عليه بناء شخصيته في المستقبل وتوجيه شئون حياته، وهذا له أكبر الأثر في تعديل سلوك الطفل بل في كافة مراحل عمره كافة، لأن الطفل يولد وهو يحمل استعدادات الخير واستعدادات الشر[(٢)]، لذا كانت أهمية دور الأسرة تقويم تصرفات الأولاد وتعديل سلوكياتهم "خاصة ما داموا في سن الطفولة لأن فيه تنطبع العادات الحسنة أو العادات السيئة، وفيه يتقبل الصغير كل ما يعرض له من خير أو شر فهو لا يفرق بين الخير والشر إلا من تصرفات أسرته معه، فما يُسمح له بفعله فهو خير في نظره، وما ينهي عنه فهو شر عنده، وهو يحاول أن يقلد كل ما يرى ويسمع في أسرته فيجب على الوالدين التنبه لذلك والاستفادة منه للقيام بدورهما

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧٦٣/٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٧.

التربوي على أكمل وجه"[١].

سادساً- من أساليب التربية: التربية بالتلقين:

من أهم الأساليب التربوية التربية عن طريق التلقين، وقد استخدمه النبي ﷺ في أحد أحاديث الباب في قوله ﷺ للبراء بن عازب: «إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك ...».

إن من أنجح الأساليب التربوية للولد أسلوب التلقين خاصة في مراحله العمرية الأولى، حيث "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تُستغل هذه المراحل العمرية في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور مع الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"[٢].

إن التربية بالتلقين لا يمكن أن يستغنى عنها لأنها من الأهمية بمكان، إذ أن القدوة وحدها لا تكفي لإتمام عملية التربية بل لابد من معاضدتها بالتعليم والموعظة والتلقين، "إذ لو كانت القدوة وحدها تكفي لإتمام عملية التربية والوفاء بكل المطلوب فيها لكانت القدوة العظمى للبشرية كلها المتمثلة في شخص رسول الله ﷺ كافية وحدها لإقامة منهج التربية الإسلامي، ولكن هذه القدوة على ضخامتها التي لامثيل لها في تاريخ البشرية كله حتى على مستوى الأنبياء والرسل كانت تلجأ إلى الموعظة والتلقين والتوجيه فضلاً عن الكتاب المنزل وهو في معظمه وعظ وتلقين وتوجيه"[٣].

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٤٠.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٣) طرق التعليم التربوية في السنة النبوية، أحمد فؤاد عليان، الطبعة الأولى، دار المسلم، الرياض ١٤١٣هـ، ص٤١.

١-التربية بالقول والفعل: كما في حديثي البراء بن عازب رضي الله عنهما: الأول كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقّه الأيمن ثم قال: "اللهم أسلمت نفسي إليك ..." الثاني: قال لي رسول الله ﷺ "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل، وذَكَرَ نحوه.

فإذا كان النبي ﷺ أرشد البراء رضي الله عنه بما يفعله عند نومه بما فيه الخير والنفع له، فإنه ﷺ كان يفعل ذلك أيضًا. وفي ذلك إرشاد لأهل التربية والتعليم أنهم إذا أرشدوا إلى شيء فعلوه ولم يخالفوه ولم يناقضوه بل ينبغي عليهم أن يكونوا أول الفاعلين وأول العاملين، نظرًا لما في ذلك من أثر كبير في نجاحهم في رسالتهم التربوية والتعليمية، فإن صدق الفعل للقول أهم الأسباب وأخطرها، فالمتعلمون -على سبيل المثال- معلقة أبصارهم بمعلمهم، فإن رأوا أن أفعاله تصدق أقواله ولا تخالفها عرفوا صدقه فأطاعوه وأقبلوا عليه وامتثلوا لتعاليمه وإن كانت الأخرى كان ما يسمعونه من المعلم لا يجاوز الأذان وكان بينه وبين قلوبهم سد منيع. بل كان ضرر هذا المعلم أشد من نفعه.

ب-الممارسة العملية: كحديث حذيفة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: "اللهم باسمك أموت وأحيا..." المهمة لكونها تبقي أثر التعليم في نفوس المتعلمين مدة طويلة، فضلاً عن شدة تأثيرها في نفوسهم.

ج-التربية بالمواقف: كما في حديث طِخْفة الغفاري رضي الله عنه: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحرّكني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله" فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

والمربي البارع لا يترك المواقف والأحداث تمردون توجيه منه أو بيان لما هو صواب وصحيح، فإنه في اليوم الواحد يقع فيه الكثير من الأحداث والمواقف، وبراعة المربي تظهر في استثمارها في غرس القيم الصحيحة ونزع القيم السلبية.

د-الإلقاء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة ..." الحديث.

والإلقاء يعتمد على الحرص الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويتيح للمعلم أن يلقي عليهم أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت، لذا كان مناسبًا للمراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.



١٢٨- باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا

ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبياً

الحديث رقم (٨٢٠)

٨٢٠- عن عبدِ اللّهِ بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ مُستَلْقِياً فِي المَسْجِدِ، وَاضِعاً إحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٧٥).

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري غرضه إفادة الخبرة إن كان الراوي يريد الإعلام بالخبر بداية، أما إن كان المخاطبون يعلمون هذا من حال رسول الله ﷺ فالغرض من الخبر هو لازم الفائدة، وهي جواز النوم على الهيئة الموصوفة للنبي ﷺ لفعله المقرر في هذا الخبر، وقد أكد الصحابي ما نقل عن الرسول ﷺ بأكثر من مؤكد تعظيماً لأمر الخبر، أو لغرابة الخبر فأراد أن يمهِّد له نفوس المخاطبين، وقوله (مستلقياً) حال مبينة لهيئة نومه ﷺ وقوله: (في المسجد) إشارة إلى إباحة الاستلقاء في المسجد، و (ال) في لفظ المسجد للعهد أي المسجد المعهود، وهو المسجد النبوي، وقوله (وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى) حال ثانية لهيئة الاستلقاء بوضع القدم على القدم، وفي الحديث إشارة إلى جوازه لفعل الرسول ﷺ.

(١) أخرجه البخاري ٤٧٥، ومسلم ٧٥/٢١٠٠ ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال النووي: (يجوز القعود متربعًا ومفترشًا ومتوكأً ومحتبيًا والقرفصاء والاستلقاء على القفا ومدّ الرجل، وغير ذلك من هيئات القعود ونحوها، ولا كراهة في شيء من ذلك إذا لم يكشف عورته، ولم يمدّ رجله بحضرة الناس. وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على ذلك، وذكر أحاديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد ووضع إحدى الرجلين على الأخرى.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد، ووضع إحدى الرجلين على الأخرى:

إن أمر المسلم قائم على الستر والوقار، لذا حث الإسلام على كل ما يحقق هاتين الصفتين، فأباح ما لا يخدشهما وما لا يتناقض معهما، لذا أباح الاستلقاء ووضع إحدى الرجلين على الأخرى، مادام لا يؤدي ذلك إلى كشف العورة، وهذا واضح من الحديث كله، وقد أخرج مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً: ((لاَ يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَىٰ))[2].

قال الخطابي: (يشبه أن يكون إنما نهى عن ذلك من أجل انكشاف العورة؛ إذ كان لباسهم الأزر دون السراويلات، والغالب أن أزرهم غير سابغة، والمستلقي إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مع ضيق الإزار لم يسلم أن ينكشف شيء من فخذه، والفخذ عورة. فأما إذا كان الإزار سابغاً، أو كان لابسه عن التكشف متوقياً، فلا بأس له، وهو وجه الجمع بين الخبرين)[3].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) أخرجه مسلم ٧٤/٢٠٩٩.

(٣) معالم السنن ٢٠٧/٧، ٢٠٨.

قال النووي: (قال العلماء: أحاديث النهي عن الاستلقاء رافعاً إحدى رجليه على الأخرى، محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شيء منها، وأما فعله ﷺ فكان على وجه لا يظهر منها شيء)[١]، وهذا لا بأس به ولا كراهة فيه على هذه الصفة. وفي هذا الحديث جواز الاتكاء في المسجد والاستلقاء فيه. قال القاضي عياض: لعله ﷺ فعل هذا لضرورة أو حاجة من تعب أو طلب راحة أو نحو ذلك، وإلا فقد علم أن جلوسه ﷺ في المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس متربعاً أو محتبياً، وهو كان أكثر جلوسه، أو القرفصاء أو مقعياً وشبهها من جلسات الوقار والتواضع[٢].

قال النووي: ويحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهي الذي نهيتكم عن الاستلقاء ليس هو على الإطلاق، بل المراد به من ينكشف شيء من عورته أو يقارب انكشافها"[٣].

وقال ابن حجر: (والظاهر أن فعله ﷺ كان لبيان الجواز، وكان ذلك في وقت الاستراحة، لا عند مجتمع الناس؛ لما عرف من عادته الجلوس بينهم بالوقار التام ﷺ)[٤].

وعن سعيد بن المسيب، قال: ((كَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ يَفْعَلانِ ذَلِكَ))[٥].

قال ابن حجر: (وقال الداودي: فيه أن الأجر الوارد للابث في المسجد لا يختص بالجالس، بل يحصل للمستلقي أيضاً)[٦].

---

(١) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ٢/٢٣٤، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٦٢٠، ٦٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١، (١٠/٤١٠).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١.

(٥) هو في نفس الحديث ٤٧٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي: "أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، ولاشك أن الإخبار هذا وصف لهيئة النبي ﷺ في استلقائه في المسجد، ومن ثم لبيان جواز هذه الهيئة وإباحتها، كما نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: (وفيه جواز الاتكاء في المسجد والاضطجاع وأنواع الاستراحة)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/١، وانظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني١٢٥/١٠، ١٢٦.

الحديث رقم (٨٢١)

٨٢١- وعن جابر بن سَمُرَة ﵁ ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسنَاء. حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بأسانيد صحيحة.

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

تربع: هو أن يقعد على إليته ويجعل قدمه اليمنى إلى جانب يساره وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه، وربعها بمعنى أدخل بعضها تحت بعض[2].

حسناء: نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة[3].

الشرح الأدبي

صاغ الصحابي المعنى في ثوب الخبر الذي لا ينكر دون مؤكدات دلالة على ثقته في عدم معارضته أو إنكاره؛ لأنه من الأوضاع المشهورة في جلوس الرسول ﷺ للذكر، وغيره، ثم إنه ساقه في جملة الشرط التي تدل على ملازمة الفعل للجزاء أي ملازمة صلاته لتربعه بعدها حتى تطلع الشمس، وقوله: (في مجلسه) هو مكان الجلوس، وإضافة المجلس إليه إضافة تشريف، وحتى لبيان الغاية، وقوله: (حسناء) تتميم بلاغي أفاد نكتة جديدة، وهي استكمالها لطلوعها، وليس بعضها بل مكتملة نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة التي تتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الأفق من السحب، والأدخنة، وفيه ندب القعود في المصلى بعد الصبح إلى طلوع الشمس مع ذكر الله عز وجل.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٧٥٠، وأخرجه أيضًا مسلم ٦٧٠/٢٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٦٦١ وعزاه أيضًا إلى مسلم، وأبي داود وغيرهما.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٠٦-١٠٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي .

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام التالية:

أولاً: حكم الجلوس بعد صلاة الفجر: ومعنى جلوسه متربعاً: أن يقعد على وركيه ويمد ركبتيه اليمنى إلى جانب يمينه وقدمه اليمنى إلى جانب يساره، واليسرى بالعكس[1].

ويشير أيضاً إلى أنه يستحب ذكر الله تعالى عقيب الصلاة والاستغفار. فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ))[2].

ثانياً: وكان رسول الله ﷺ يقعد بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس حسناء فيستحب للإنسان أن يفعل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ[3].

حكم التربع في الفريضة بغير عُذر: اتفق الفقهاء على أن التربع مخالف للهيئة المشروعة في الفريضة في التشهدين جميعاً، والحنفية قالوا بكراهة التربع من غير عذر، لأنه يقلل من الخشوع، وهذا في الفريضة، أما في النفل فالأمر فيه سعة، وهذا قول المالكية، والشافعية، والحنابلة[4].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢/١٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٤٤، ومسلم ٥٩٣.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥٦١، والشرح الكبير ١/٦٢٩.

(٤) المبسوط، السرخسي ١/٢٧، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/١٦٥، ١٦٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٤٤، والفروع، ابن مفلح ١/٥٦٥.

المضامين الدعوية[(١)]

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة:

النبي ﷺ هو القدوة والأسوة، وكانت أعين الصحابة رضي الله عنهم معلقة به، فنقلوا جميع أحواله وشؤونه، وكان مما نقلوا هيئات جلوسه، كما في هذه الأحاديث، فقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه"، وابن عمر رضي الله عنهما أخبر أنه: "رأى النبي ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء". وكذلك أخبرت قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها.

والاحتباء: (قعود الشخص على مقعدته، وضم فخذيه إلى بطنه، واشتمالهما مع ظهره بثوب أو نحوه أو باليدين)[(٢)].

قال ابن حجر: (والقرفصاء جلسة المحتبى، ويدير ذراعيه ويديه على ساقيه، وقيل هي الاحتباء، وقيل جلسة الرجل المستوفز[(٣)]، وقيل جلسة الرجل على إليتيه قال: وحديث قيلة يدل عليه لأن فيه "وبيده عسيب نخلة" فدل على أنه لم يحتب بيديه، قلت: ولا دلالة فيه على نفي الاحتباء، فإنه تارة يكون باليدين وتارة بثوب، فلعله في الوقت الذي رأته قيلة كان محتبياً بثوبه. وقد قال ابن فارس وغيره: الاحتباء أن يجمع ثوبه ظهره وركبتيه ...، وقيل: القرفصاء الاعتماد على عقبيه ومس إليتيه بالأرض، والذي يتحرر من هذا كله أن الاحتباء قد يكون بصورة القرفصاء، لا أن كل احتباء قرفصاء... وقال ابن بطال: لا يجوز للمحتبي أن يصنع بيديه شيئاً ويتحرك لصلاة

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٢، ٨٢٣).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ، ٦٦/٢، ٢٦٣/١٥.

(٣) استوفز: جلس على هيئة كأنه يريد القيام. واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٦.

أوغيرها؛ لأن عورته تبدو، إلا إذا كان عليه ثوب يستر عورته فيجوز. وهذا بناء على أن الاحتباء قد يكون باليدين فقط، وهو المعتمد)[١].

قال ابن عثيمين: "أما القعود فإن جميع القعود لا بأس بها، فلا بأس أن يقعد الإنسان متربعاً، ولا بأس أن يجلس وهو محتبي القرفصاء، يعني يضم فخذيه وساقيه، ويجعل يديه مضمومتين على الساقين، هذا أيضاً لا بأس به، لأن النبي ﷺ قعد هذه القعدة"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ رأس المتواضعين، وهذا واضح من حديث قيلة: فلما رأيتُ رسول الله المُتَخَشّعَ في الجِلْسة أُرعدتُ من الفَرَقِ، قال المزى: (والمُتَخَشّعُ: المُتَواضع، كأنها حينَ ظَنّت أنّ رسول الله ﷺ إنما يُعرف بلباسه أو مجلسه، ثم رأته غير مُتَميّز من أصحابه زادت هيبته عندها، فأُرْعِدت)[٣].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: المتخشع يجوز أن يكون نعتاً لرسول الله ﷺ وأن يكون مفعولاً ثانياً، ويكون التقدير الرجل المتخشع. وقال البيضاوي: المتخشع صفة رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يجعل ثاني مفعولي "رأيت"، لأنه ههنا بمعنى أبصرت. ولقد سلك التوربشتي مسلك التجريد، جرد من ذاته الزكية الرجل المتخشع، وجعله شخصاً آخر، وهو مبالغة لكمال التخشع فيه، وإلقاء رداء الهيبة عليه، ومن ثم قالت "أرعدت من الفرق")[٤].

وقال ابن مفلح: (قال ابن الجوزى: وهذه الجلسة تحكيها قيلة في حديثها: إني رأيت رسول الله ﷺ جالساً جلسة المتخشع والقرفصاء، وكان أحمد يحتبي في جلوسه هذه الجلسة، وهي أولى الجلسات بالخشوع. والقرفصاء، أن يجلس الرجل على إليته رافعاً ركبتيه إلى صدره بأخمص قدميه إلى الأرض، وربما احتبى بيده، ولا جلسة أخشع منها

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١١٢٢/٢

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٧٠/٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٠/٩.

انتهى كلامه ... وقال في النهاية[١]، عن قولها: فإذا رسول الله جالس القرفصاء، قال: هي جلسة المحتبي بيديه)[٢].

وقال ابن القيم عن هديه ﷺ في جلوسه واتكائه ما يدل على تواضعه ﷺ قال: (كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قَيْلة بنت مخرمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيتُ رسول الله ﷺ كالمتخشِّع في الجلسة، أُرعدت من الفرق. ولما قدم عليه عديٌّ بن حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض. قال عدي: فعرفت أنه ليس بملك. وكان يستلقي أحياناً، وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه. وكان إذا احتاج في خروجه، توكأ على بعض أصحابه من الضعف)[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم عن جلسات النبي ﷺ، وهي التربع والاحتباء[٤]، والقرفصاء، وكان هذا وصفاً لبعض أحوال النبي ﷺ، ونقلها إلى المدعوين، لكي تكون أمام أعينهم ويدركوها بأفهامهم، ويمتثلوها في حياتهم، وكان هذا الإخبار لبيان جواز هذه الهيئات من الجلوس، لكي يكون المدعوون في سعة من أمرهم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٤٥

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، ٣٩١/٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٧٠/١.

(٤) قال ابن هبيرة عن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء، وهو القرفصاء. قال ابن هبيرة: هذا يدل على قلة لحم رسول الله ﷺ، فإن الرجل السمين لا يمكنه الاحتباء باليدين، ويدل على جواز الجلوس بحيال الكعبة، فإن قوماً كانوا يعظمونها فوق الحدّ المشروع ويقولون: لا نجلس عندها بل نقف. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٥/٤.

الحديث رقم (٨٢٢)

٨٢٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ بفناءِ الكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بِيَدَيْهِ هكَذا (وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ[1]). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مُحْتَبِياً: قعد ونصب ساقيه وجمعهما إلى صدره بيديه أو بعمامته[3].

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[4].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الرؤية هي أقوى طرق العلم، والراوي يخبر دون أن يؤكد بأي مؤكد ثقةً في عدم المعارضة أنه رأى الرسول ﷺ بفناء الكعبة، وإضافة الفناء للكعبة في قوله: (بفناء الكعبة) إضافة بيان، وتشريف، وقوله (محتبياً) الاحْتِبَاء: هو أن يَضُمَّ الإنسان رجْلَيْه إلى بَطْنه بثَوْب يَجْمَعَهُما به مع ظَهْره، ويَشُدُّه عليها. وقد يكون الاحتباء باليَدَيْن، وقوله (بيده) وضع إحداهما على رسغ الأخرى، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبِّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وهذه الجلسة من جلسات التواضع، والوقار تدلل على زهد، وتواضع النبي ﷺ؛ لأن المتكبرين من الملوك،

---

(١) هذه الزيادة ليست من الحديث، لعل النووي يشير إلى تبويب البخاري لهذا الحديث، حيث قال: (باب الاحتباء باليد، وهو القرفصاء).

(٢) برقم ٦٢٧٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٦٨.

والأمراء، وذوي الهيئات لا يجلسون إلا جلسات الفخر، والتباهي على العروش، وفي القصور ولكنه اختار- ومن تبعه - ما عند الله.

فقه الحديث

الاحتباء خارج الصلاة مباحٌ إن لم يرافقه محظور شرعي آخر، ككشف العورة مثلاً، والأولى تركه وقت الخطبة وعند انتظار الصلاة، لأنه يكون مهيئًا للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢/٣١٥ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٥٥، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤١ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٣)

٨٢٣- وعن قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها، قالت: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رسولَ الله المُتَخَشِّعَ[1] في الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2].

ترجمة الراوي:

قَيْلة بنت مخرمة: هي قيلة بنت مخرمة العنبرية التميمية. كانت من بني عنبر من قبيلة تميم. خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ فلاقت عناءً وتعباً وشدةً، لكنها واصلت هجرتها، حتى وجدت حُريث بن حسّان البكري وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ فرافقته حتى قدمت المدينة، وأثنت عليه وعلى أخلاقه وعِفّته، وكانت من الأوائل.

دخلت المدينة وقت صلاة الصبح، فصلّت مع النبي ﷺ. ولم تكن تعرفه، وظنت أنه يكون متميزاً عن أصحابه في مجلسه ولباسه، فلما وجدته يجلس القُرفصاء تواضعاً غير متميز عن أصحابه -زادت هيبته عندها فأُرْعدت- كما في الحديث المشروح. لكن النبي ﷺ هدأ من روعها وطمأنها. وهو جزء من حديث لها طويل فيه من غريب اللغة وفصيحها الكثير[3]. قال ابن عبدالبر: هو حديث طويل فصيح حسن وقد شرحه أهل العلم بالغريب. وفي هذا الحديث ذكرتْ أن لها ابناً يدعى حِزاماً قاتل مع النبي ﷺ ثم ذهب إلى خيبر من أجل الطعام فمات هناك.

ويتضح من هذا الحديث فصاحتها وقوة حجتها وحسن دفاعها عن حقها، وقد أثنى النبي ﷺ على ذلك منها.

---

(١) هذا لفظ موسى، ولفظ حفص بن عمرو: (المُختَتشع).

(٢) أخرجه ابو داود ٤٨٤٧، والترمذي في الشمائل ١٢٧ ولفظهما سواء. إسناده ضعيف، لجهالة جدّتي عبد الله بن حسان، وهما: دُحَيبة، وصفيّة ابنتا عُليبة.

(٣) أخرج الحديث بطوله الطبراني ٢٥ رقم ١) وابن مندة كما في الإصابة والمزي في تهذيب الكمال. وقد شرح المزي غريبه فاستوفى. والحديث أخرج بعضه الترمذي ٢٨١٤، وابو داود وحسنه الألباني.

وفي آخره أن النبي ﷺ كتب لها كتاباً فيه: ((لقيلة والنسوة من بنات قيلة ألا يُظلمن حقاً ولا يُكرهن على مَنْكحٍ، وكل مؤمن ومسلم لهن نصير، أحسنَّ ولا يُسئن))[(١)].

غريب الألفاظ:

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[(٢)].

المتخشع: أي الخاشع الخاضع المتواضع[(٣)].

أُرعدتُ: ارتعشتُ واضطربتُ من هيبيته[(٤)].

الفرق: الخوف والفزع، والمعنى: هبته مع خضوعه وخشوعه[(٥)].

الشرح الأدبي

ورد المعنى في ثوب القصة التي تحكي واقعة شخصية حدثت مع إحدى الصحابيات الجليلات، وهي رؤيتها للنبي ﷺ على الهيئة الواردة في الحديث، وقد ساقت المعنى في صورة خبرية لا تتوقع لها معارضاً؛ لأنها حدث خاص بها، وتجربة مرَّت عليها وصفت فيها خلجات نفسها عند رؤية الرسول ﷺ، وقولها: (وهو قاعد) جملة حالية،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣١٢/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٣٨/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٦٧/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٨٦/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٦٤٠/٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ق)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

والضمير (هو) للتوكيد، وإضافة القعود للقرفصاء إضافة بيانية، والقرفصاء: أَنْ يَجْلِس عَلَى أَلْيَتَيْهِ وَيُلْصِق فَخِذَيْهِ بِبَطْنِهِ وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ أَوْ يَجْلِس عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُنْكَبًا وَيُلْصِق بَطْنه بِفَخِذَيْهِ وَيَتَأَبَّط كَفَّيْهِ، وقولها: (فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) يوحي بالمفاجأة، وكأنها لم تتبين من الرؤية الأولى شخصه ﷺ فلما تبينته أخذتها رعدة من هيبته، وإجلاله، وقولها: (المتخشع) أَيْ الْخَاشِع الْخَاضِع الْمُتَوَاضِع وقولها (أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) كناية عن الهيبة، والإجلال من رؤية النبي ﷺ وهي تدل على شدة توقير الصحابة - ﷺ - للرسول ﷺ رجالاً ونساءً، والحديث يكشف جانباً من جوانب حياته التي تشير إلى أنه لم يتميز عن غيره في قعوده، وقيامه بشيء يدل على افتخار، ولا كِبْر - مع أنه خير من جلس على ظهرها -.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢١، ٨٢٢).

الحديث رقم (٨٢٤)

٨٢٤- وعن الشَّريد بن سُوَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأنا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدي، فَقَالَ: ((أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

الشَرِيد بن سُوَيْد الثقفي: هو الشريد بن سُوَيد الثقفي، وقيل الشريد اسمه مالك بن قُسْحُم بن جُذَام بن الصَّدِف، قتل قتيلاً من قومه فلحق بمكة، فحالف بني حطيط بن جُشم بن ثقيف، ثم وفد إلى النبي ﷺ فأسلم، فسماه النبي ﷺ وقيل سُمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقته الثقفيين، قيل إنهم تعاقدوا معه ألا يغدر بهم حتى يعلمهم، فنزلوا منزلاً، فجعل يحفر بنصل سيفه، قالوا: ما هذا؟ قال: احفروا قبوركم، فلم يفهموها، وأكلوا وشربوا وناموا، فقتلهم، فلم ينج أحدٌ إلا الشريد، فلذلك سُمِّي الشريد.

يقال: إنه من حضرموت، لكن عداده في ثقيف؛ لأنهم أخواله، وتزوج منهم، سكن الطائف، والمدينة، وحديثه في أهل الحجاز، وهو من أصحاب الرواية، روى له البخاري في الأدب، والترمذي في الشمائل، والباقون.

وكان ممن بايعوا رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان، وكان النبي ﷺ يكرمه ويقربه إليه، فكان النبي ﷺ يردفه وراءه، وكان ﷺ يسمع لروايته من الشعر، فعن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية بن الصلت، فأنشدته، فكلما أنشدته بيتاً قال هِيْ -وفي رواية (إيه)، وفي رواية أخرى (هيه)- حتى أنشدته مائة قافية، فقال: إن كان ليسلم))[2] [3].

---

(١) برقم ٤٨٤٨. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٥٦٧٤، وقال الحاكم ٢٦٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٦/٣٢ رقم ١٩٤٥٧، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٦٢٩/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٨٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٨٢/٣، ٣٨٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٢، والسندي ٤٦٤/٢٩.

غريب الألفاظ:

أَلْيَة يدي: اللحمة التي في أصل الإبهام[1].

الشرح الأدبي

قول الصحابي رضي الله عنه: (مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جَالِس) تقديم الجار المجرور (بي) على الفاعل فيه تخصيص، أكده قوله: (وأنا جالس) وهي جملة حالية، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وقد فسره بقوله (وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي) والتعبير بالفعل الماضي يحقق الفعل ويقرره، وقول الرسول ﷺ (أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟) استفهام إنكاري يحمل معنى اللوم، والتوبيخ، يدل على ذلك توكيد الفعل بالمصدر (أتقعد قعدة)، وإضافة القعدة للمغضوب عليهم، والمقصود من التعريف بالإضافة هنا الذم، ويُرَاد بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الْكُفَّار، وَالْفُجَّار الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ مِمَّنْ تَظْهَر آثَار الْعُجْب، وَالْكِبْر عَلَيْهِمْ مِنْ قُعُودهمْ، وَمَشْيهمْ وَنَحْوهمَا.

فقه الحديث

قال ابن عثيمين بما معناه: (يكره من هيئات الجلوس هيئة مَنْ جعل يده اليسرى مِنْ خلف ظهره، وجعل بطن الكفّ على الأرض ويتكئ عليها، وذلك لأن هذه الهيئة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم. أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ٢٠٩٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٢٢/٢ النقل بالمعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهى.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء:

إن الداعية يعيش مع المدعوين، يتفقدهم ويطلع على ما تيسير من أحوالهم، وهو ناصح أمين لهم، يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر، وقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه رضي الله عنهم كما قال الشريد بن سويد رضي الله عنه: "مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس قد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت ... الحديث.

فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فالله سبحانه وتعالى يقول عنه ﷺ: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[1].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله، وقال: ياجنيدب، إنما هذه ضجعة أهل النار[2].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ[3].

ولا شك أن تفقد الداعية لأحوال المدعوين، يدل على تواضعه وحبه لهم وشفقته عليهم، وكل هذا يساهم في قربه منهم ومن ثم طاعتهم له، وبالتالي يسهل عليه أن يوجههم إلى ما فيه نفعهم ويحذرهم مما فيه ضرهم، كما يمكّنه من تصحيح الأخطاء

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

أولاً بأول، وعلاجها عند أول حدوثها، وكل هذا يعجل بالقضاء واختفائها بين المدعوين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين:

إن من أبغض الناس إلى الخالق والخلق المتكبرين والمتجبرين، لذا كان المسلم أبعد ما يكون عنهم وعن التشبه بهم، فلا يفعل أفعالهم، بل يبتعد عنها وينهى غيره عن إتيانها، وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ للشريد بن سويد لما رآه بهذه الهيئة من الجلوس - قال له: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟". قال ابن عثيمين: (ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، فإن هذه القعدة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم)[1].

قال الطيبي: (والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود)[2].

وقد صح عن النبي ﷺ قوله: (إن المغضوب عليهم اليهود. وإن الضالين النصارى)[3].

لكن القاريّ استدرك على الطيبي قوله، فقال: (في كونهم هم المراد من المغضوب عليهم، ههنا محل بحث. وتتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم، والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أعم من الكفار والفجار المتكبرين المتجبرين، ممن تظهر آثار العجب والكبر عليهم من قعودهم ومشيهم ونحوهما، نعم ورد في حديث صحيح أن المغضوب عليهم في سورة الفاتحة هم اليهود"[4].

وما يؤيد ما ذهب إليه القاري، أن ابن حبان أخرج هذا الحديث في باب التواضع والكبر والعجب من كتاب الحظر والإباحة[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٢/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٥/٩.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، وابن حبان ٦٢٤٦، ٧٢٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٥٦٧٤.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهي:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟"، فصلوات الله وتسليماته عليه لم يكن يسأل الشريد ولا يستفهمه، وإنما أراد ﷺ نهيه والإنكار عليه فاستخدم الاستفهام، ولذلك امتثل الصحابي، فعند ابن حبان ما يشعر بالامتثال: قال ابن جريج: "أحد رواة الحديث": "وضع راحتيه على الأرض وراء ظهره"[(١)]. قال ابن عثيمين: (أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[(٢)].

وقال الطيبي: (وفي التخصيص بالذكر "أي المغضوب عليهم" فائدتان: إحداهما: أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى، وأن المسلم ممن أنعم الله عليه، فينبغي أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه ولعنه)[(٣)].

---

(١) صحيح ابن حبان، ٥٦٧٤، هذا ما فهمته من قول ابن جريج، ويحتمل أن ابن جريج يصف قعدة الصحابي التي نهاه النبي ﷺ عنها، وإن كان في هذا بعد، فالله أعلم.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٢٢/٢.

(٣) شرح الطيبي، ٥٥/٩، وهكذا ذكر المؤلف إحدى الفائدتين، ولم يذكر الأخرى في المطبوع بين أيدينا. ويحتمل أن تكون الفائدة الأخرى متضمنة في الفائدة الأولى، فالله أعلم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

صور النوم المنهي عنها واضحة في السنة، وهي كل نومة تثير شبهة أو تحرك شهوة، وما عدا ذلك فهو من المباح وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية أبرزها ما يلي:

أولاً- إعطاء الجسد حظه من الراحة والاسترخاء:

في أحاديث الباب ما يدل على التربية الجسدية، ومنها إعطاء الجسد حظه من الراحة والاستجمام والاسترخاء وهيئات النوم والقعود التي تريحه ما دام الإنسان يجتنب الهيئات المنهي عنها كالنوم على البطن، والجانب الأيسر، والجلسة التي تشبه اليهود في جلوسهم، مع أخذ الحذر والاحتياط في الحفاظ على العورة من الظهور والتكشف.

لقد وردت في أحاديث الباب عدة هيئات لجلوس النبي ﷺ والتي منها "تربع في مجلسه"، "محتبياً بيده"، "مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، "وهو قاعد القرفصاء".

إن الاهتمام بالجسد وإعطائه حظه في حدود القصد والاعتدال أمر مطلوب لتجديد نشاطه وحيويته وقوته، "فكلما كان الجسم قوياً نشيطاً كان الإنسان أكثر قابلية وقدرة على العمل وأداء الواجبات خاصة إذا وافق ذلك همة عالية تدفعه إلى الكسب المعيشي وليقوم بما هو مكلف به من النفقة على نفسه وعلى مَنْ تجب عليه نفقتهم كالأهل والأبناء ولا يكون عالة على الناس، وليعف نفسه عن المسألة.

إن نشاط الجسم وحيويته ينعكس انعكاساً إيجابياً على نفسية الإنسان فيشعر بالراحة النفسية ويذهب عنه الملل والكآبة، فيكون أكثر قابلية واستعدادًا لأداء واجباته"[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٠-٢٠٣.

ثانياً- الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض:

إن مما ينبغي الاهتمام به في التربية الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض التي هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل [1] والقُرَب.

ولقد كان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في ذلك، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من بيان تنفله ﷺ بعد الفرائض "كان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء" أي يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس بيضاء نقية"[2].

إن على المربين أن يربوا المتربين على التنافس في القُرَب والخيرات، يكونون "في زيادة دائمة، يرفضون حتى البقاء على مستوى واحد من العبادة، يكونون دائماً في زيادة وارتقاء، زيادة في قراءة القرآن، وفي نوافل الصلاة، وفي الصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعمال البر، وكل ما يقرب من الجنة ويباعد عن النار"[3].

ثالثًا- أسلوب الممارسة العملية:

من أهم أساليب التربية أسلوب الممارسة العملية، وهذا له أكبر الأثر في إيصال المعلومة وحفظها وتطبيقها تطبيقاً عملياً، وذلك ما نلاحظه في جلوس ابن عمر رضي الله عنهما على هيئة إحدى جلسات النبي ﷺ، فعنه أنه قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ بفِناءِ الكعبة مُحتبياً بيدَيه هكذا» ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء.

وهكذا تعلمنا النصوص أن نتعلم ونمارس ما نتعلم "وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، فينبغي على المعلم والمربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم، إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[4].

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧١.

(٣) نظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٦٣، ٦٤.

(٤) انظر: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ط/١، دار عالم الكتب، القاهرة: ١٩٧٧م، ص٦٠.

إن استخدام الأسلوب العملي في التربية والتعليم من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[١].

إضافة إلى أن استخدام الإنسان لحواسه وتدريبها عملياً يكسبه معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل المتربي بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة[٢].

رابعاً- التوجيه المباشر:

ورد ذلك في توجيه النبي ﷺ للشريد بن سويد ونهيه له عن التشبه باليهود في قعدتهم فعنه أنه قال: « مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِيَ، فقَالَ: أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ». وفي ذلك النهي عن التشبه باليهود حتى في طريقة جلوسهم واتكائهم.

وقد استخدم النبي ﷺ في ذلك التربية عن طريقة التوجيه المباشر، "والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وكذلك عندما يرى خطأ ما فيأمر بتصحيحه.

إن التوجيه المباشر من أهم أساليب التربية وأنفعها، فمن خلاله يحاول المربي تصحيح الأخطاء والحث على صالح الأعمال، وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال واستثمار قدراته بجوانب الخير وجعل ذلك عادة مستديمة له [٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٣-٢٨٨.

خامساً- دور المرأة في التعليم والتربية والتنشئة:

لقد أفصح لنا أحد أحاديث الباب عن دور المرأة في نقل سنة رسول الله ﷺ، حيث نقلت لنا قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها هيئة لرسول الله ﷺ فعنها: «أَنَّهَا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءِ». وذلك يدخل تحت السنة الفعلية لرسول الله ﷺ.

وذلك مما يلفت الأنظار إلى أهمية اضطلاع المرأة، وقيامها بمسئوليتها في العملية التعليمية والتربوية، فليس من الإسلام، وليس من المقبول أن تُلقِى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمنهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم[1].



(١) انظر: الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، د. محمد عبدالمحسن التويجري، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٢٥.

١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس

الحديث رقم (٨٢٥)

٨٢٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا يُقِيمَنَّ أحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ[1]، وَلكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا[2])) وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

كلام الراوي خبري؛لأنه كلام يُقَابل به خالي الذهن، وحديث الرسول ﷺ بدأ بأسلوب إنشائي بأسلوب النهي (لا يقيمن أحدكم رجلاً) رعاية لحال المؤمنين، وحرصاً على سلامة صدورهم، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي حكم النهي صفة العموم، وتنكير كلمة رجل يفيد العموم أي رجل، كما أن في التعميم ستراً على المذنب، وهو من كمال أدبه ﷺ، وقوله (من مَجْلِسِهِ) إضافة المجلس للضمير العائد على النكرة يفيد اختصاصه به، وقوله: (ثم يجلس فيه) الفعل المضارع يستحضر صورة فيها إهانة، واحتقار لإنسان، وتَكبُّرٌ من آخر، وهو يجلس بعد قيام أخيه، وحرف العطف ثم يشير إلى طول الألم النفسي الذي لحق من أُقيمَ من مجلسه، وإن قصرت فترة التبديل في الزمن لكنها لثقلها على نفسه صارت أمداً، وكم من لحظة ألم في حياة الإنسان تساوي سنين بعمق أثرها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٧/٢٧ بلفظ: (الرجل) بدل: (رجلاً).

(٢) لفظ البخاري برقم ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٣.

تنبيه: هذا الحديث كما بينا من عدة ألفاظ عند البخاري ومسلم، ولم يرويا بهذا اللفظ في موضع واحد.

وقد وضع الرسول ﷺ الحل عن طريق الاستدراك ثم الأمر (توسعوا، وتفسحوا) واتصال الفعلين بواو الجماعة مع تاء الافتعال، وتشديد السين يؤكد تكليف الجالسين كلهم بالتضام، والتداخل حتى يسع بعضهم بعضاً عوضاً عمًّا نهاهم عنه (وَالْحِكْمَة فِي هَذَا النَّهْي مَنْع إِسْتِنْقَاص حَقّ الْمُسْلِم الْمُقْتَضِي لِلضَّغَائِنِ، وَالْحَثّ عَلَى التَّوَاضُع الْمُقْتَضِي لِلْمُوَدَّةِ، وَأَيْضًا فَالنَّاس فِي الْمُبَاح كُلّهمْ سَوَاء، فَمَنْ سَبَقَ إِلَى شَيْء إِسْتَحَقَّهُ، وَمَنْ إِسْتَحَقَّ شَيْئًا فَأَخَذَ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقّ فَهُوَ غَصْب وَالْغَصْب حَرَام، فَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُون بَعْض ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الْكَرَاهَة، وَبَعْضه عَلَى سَبِيل التَّحْرِيم، قَالَ: فَأَمَّا قَوْله " تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا " فَمَعْنَى الْأَوَّل أَنْ يَتَوَسَّعُوا فِيمَا بَيْنهمْ وَمَعْنَى الثَّانِي أَنْ يَنْضَمّ بَعْضهمْ إِلَى بَعْض حَتَّى يَفْضُل مِنْ الْجَمْع مَجْلِس لِلدَّاخِلِ)[١].

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث[٢] الشريفة إلى مدى أحقية الإنسان بالمكان الذي كان جالساً فيه وتركه ثم رجع إليه مرة أخرى. ويشهد لذلك في الفقه الإسلامي باب أحكام الطريق.

وتفصيل ذلك: يجوز للإنسان الجلوس في الطريق العام ولو في وسطه من أجل الاستراحة أو المعاملة [بالبيع والشراء] ما لم يؤد ذلك إلى التضييق على المارة؛ فإن أدى إلى التضييق عليهم فلا يجوز، ولا يشترط للجلوس في الطريق إذن الإمام لإطباق الناس على ذلك[٣].

وإذا ترك الجالس مكانه - أي موضع جلوسه- وانتقل إلى مكان غيره، بطل

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث: (٥٧٩٩).

(٢) أي: أحاديث الباب.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١٤٢/٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٣٦٨/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٩/٢ للشربيني الخطيب، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٧٧/٥.

حقه في المكان الذي تركه، ويحق لغيره أن يجلس مكانه لأن يده قد زالت. أما إذا قام منه وهو يريد الرجوع إليه، بأن ترك متاعه فيه لم يبطل حقه، ولا يجوز لغيره أن يجلس مكانه، لأن الأول ما زالت يده عليه[١].

وإن استبقا اثنان إلى نفس المكان، أقرع الحاكم بينهما لعدم الأفضلية، وقيل يقدم الإمام أحدهما برأيه[٢].

وإذا فارق الجالس مكانه بالليل، فليس لغيره مزاحمته في اليوم الثاني، وكذا في الأسواق التي تقام مرة كل أسبوع أو شهر، إذا اتخذ مقعداً كان أحق به في النوبة الثانية. وإذا أراد غير الجالس أن يجلس في نفس المكان مدة غيبته إلى أن يعود، جاز إذا كان لغير المعاملة، وكذلك المعاملة في الأصح، والجالس في المكان للاستراحة يبطل حقه فيه إذا فارقه.

أما فيما يتعلق بالجلوس في المسجد، فإن من ألف مكاناً في المسجد يفتي فيه أو يقرأ القرآن فيه، فهو كالجالس في الطريق من أجل المعاملة. والظاهر أن مجلس الفقيه يفيد الاختصاص، وإذا جلس المصلي في المسجد لصلاة لم يصر أحق بالمكان في صلاة غيرها؛ لأن لزوم بقعة معينة للصلاة غير مطلوب، وبقاع المسجد تختلف.

ولو فارق الجالس للصلاة مكانه قبل الصلاة لحاجة، كإجابة داع ورعاف وغير ذلك، وأراد الرجوع بعد الفراغ من حاجته، لم يبطل حقه في المكان الذي كان جالساً فيه وإن لم يترك مكانه شيئًا كالإزار أو السجادة، وقيل يبطل حقه في ذلك المكان. هذا إذا لم تقم الصلاة في غيبته، أما لو أقيمت الصلاة واتصلت الصفوف، بطل حقه في ذلك المكان وسد الصف مكانه[٣].

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/٥٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ٤/١٩٦، .

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/٥٧٧.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، ٣٧١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهى والأمر:

أما النهى فقول النبي ﷺ: "لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِس مَكَانَه". وجاء النهى أسلوباً مباشراً لطلب الترك وعدم الفعل، وقد أكد بنون التوكيد في آخره، ليدل على شدة هذا النهى لما في فعل ضده (وهو إقامة الغير للجلوس مكانه) من تكبر وعدم تواضع. ولما كان النهى منعاً للفعل، جاء الأمر ليبين الفعل المشروع، وهو "توسعوا وتفسحوا".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس:

جاء الإسلام لنشر الود والتآلف بين الناس، وحرص على ترسيخ كل ما يؤدي إلى هذه الغاية، فحضّ على نشر السلام، وعلى البشر عند اللقاء، ونحو ذلك، كما نهى عن كل ما يعيق تحقيق هذه الغاية، فمنع الغيبة والنميمة والأذى، ولذا نهى النبي ﷺ عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه، لما يؤدي ذلك إلى تباغض وقطيعة وعداوة، لأن هذا حقه، قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: هذا اللفظ عام في المجالس ولكنه مخصص بالمجالس المباحة، إما على العموم كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص كمن يدعو قوماً بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها. وأما المجالس التي ليس للشخص فيها ملك ولا إذن له فيها، فإنه يقام ويخرج منها.

ثم هو في المجالس العامة، وليس عاماً في الناس، بل هو خاص بغير المجانين ومن يحصل منه الأذى كآكل الثوم النيء إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم، قال: والحكمة في هذا النهى منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن والحث على التواضع المقتضي للموادة، وأيضا فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق

إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئا فأُخذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام)[1].

وقال أبو العباس القرطبي: (نهيه ﷺ عن أن يقام الرجل من مجلسه، إنما كان ذلك لأجل أن السابق لمجلس قد اختص به، إلى أن يقوم باختياره عند فراغ غرضه، فكأنه قد ملك منفعة ما اختص به من ذلك، فلا يجوز أن يحال بينه وبين ما يملكه، وعلى هذا فيكون النهي على ظاهره على التحريم، وقيل: هو على الكراهة. والأوّل أولى، ويستوي في هذا المعنى أن يجلس فيه بعد إقامته أو لا يجلس، غير أن هذا الحديث خرج على أغلب ما يفعلِ من ذلك، فإن الإنسان في الغالب إنما يقيم الآخر من مجلسه ليجلس فيه)[2].

ولعل من قبيل احترام الناس وتقديرهم قوله ﷺ: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه))[3].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا)[4].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله: "فإن ذلك يحزنه" أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك: بأن يقدِّر في نفسه: أن الحديث عنه بما يكره، أو أنَّهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان، وأحاديث النفس. وحصل ذلك كلُّه من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا: يستوي في ذلك كلُّ الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحدٍ، ولا عشرة، ولا ألفٌ مثلاً؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن، وأوقع، فيكون بالمنع أولى. وإنما خصَّ الثلاثة بالذكر لأنه أوَّل عدد يتأتى فيه ذلك المعنى. وظاهرُ هذا الحديث يعمُّ جميع الأزمان والأحوال.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥/١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٩/٥-٥١٠، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١١٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٦/١١.

وإليه ذهب ابنُ عمر، ومالكٌ، والجمهور. وقد ذهب بعضُ الناس: إلى أن ذلك كان في أول الإسلام؛ لأن ذلك كان حال المنافقين، فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام؛ سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاصٌّ بالسفر، وفي المواضع التي لا يأمن الرجلُ فيها صاحبه؛ فأما في الحضر، وبين العمارة: فلا.

قلتُ: وكلُّ ذلك تحكُّمٌ، وتخصيصٌ لا دليلَ عليه. والصحيح: ما صار إليه الجمهور. والله تعالى أعلم)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

إذا كان الإسلام نهى عن إقامة الرجل من مجلسه لما في ذلك من أذى يلحق به، فإنه أمر بالتفسح في المجلس والتوسع فيه، لما في ذلك من إكرام من أتى المجلس ولم يجد مكاناً، وذلك لأن عدم التفسح يؤذيه، لذا قال النبي ﷺ: "ولكن توسعوا وتفسحوا".

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ: ((لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم))[٣]، وقال ابن حجر: (أي وسعوا يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة")[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٢٥.

(٢) سورة المجادلة، آية : ١١.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٥٢٣ رقم ١٠٧٧٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٦/٤٥٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٥.

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ولكن تفسَّحوا، وتوسَّعوا" هذا أمرٌ للجلوس بما يفعلون مع الداخل، وذلك: أنه لما نُهِي عن أن يقيم أحداً من موضعه تعيَّنَ على الجلوس أن يوسعوا له، ولا يتركوه قائماً، فإن ذلك يؤذيه، وربما يُخجله. وعلى هذا: فمن وجد من الجلوس سعة تعين عليه أن يوسع له. وظاهرُ ذلك أنه على الوجوب تمسُّكاً بظاهر الأمر، وكأن القائم يتأذى بذلك، وهو مسلم، وأذى المسلم حرامٌ. ويُحتمل أن يقال: إن هذه آدابٌ حسنةٌ، ومن مكارم الأخلاق، فتُحمل على الندب. وقد اختلف العلماء في قوله: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[1]. فقيل: هو مجلس النبي ﷺ كانوا يزدحمون فيه تنافساً في القرب من النبي ﷺ. وقيل: هو مجلس الصف في القتال. وقيل: هو عامٌ في كل مجلسٍ اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، وهذا هو الأولى؛ إذ المجلس للجنس على ما أصَّلناه في الأصول)[2].

قال القاسمي عن الآية: (تعليم منه تعالى للمؤمنين بالإحسان في أدب المجالس، وذلك بأن يفسح المرء لأخيه ويتنحى توسعة له. قال الشهاب: وارتباطه بما قبله ظاهر، لأنه لما نهى عن التناجي والسرار، علم منه الجلوس مع الملأ فذكر آدابه ورتب على امتثالهم فسحة لهم فيما يريدون التفسح من المكان والرزق والصدر)[3].

وقال ابن كثير: (وذلك أن الجزاء من جنس العمل" كما جاء في الحديث الصحيح: من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة)[4]... ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾. قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض)[5]. وقال العز بن عبدالسلام: (التفسح في المجالس إكرام لأهل الإسلام)[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١٠-٥١١.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٨/١٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥/٨

(٦) شجرة المعارف والأحوال ٢٠٠.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية:

جاء الإسلام دعوة عامة للإصلاح، فجاء لإصلاح النفوس والأبدان والمجتمعات، لذا حضّ على التمسك بالآداب الاجتماعية الصحيحة، من ذلك آداب المجلس، كما هو واضح في الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

قال القاسمي: ("وإذا قيل انشزوا": أي انهضوا للتوسعة أو ارتفعوا في المساجد أو انهضوا عن مجلس الرسول إذا أمرتم بالنهوض عنه، ولا تملوه بالارتكاز فيه "فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، أي يرفع المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين بها الجارين على موجبها بمقتضى علمهم، درجات دنيوية وأخروية. قال الناصر: لما علم أن أهل العلم، بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس، ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء، ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس تواضعاً لله تعالى، انتهى. وهذا - كما قال الشهاب- من مغيبات القرآن، لما ظهر من هؤلاء في سائر الأعصار من التنافس في رفعة المجالس ومحبة التصدير")[2].

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه، قال النووي: (فهذا ورع منه، وليس قعوده فيه حراماً إذا قام برضاه، لكنه تورع عنه لوجهين: أحدهما أنه ربما استحى منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيب قلبه، فسد ابن عمر الباب ليسلم من هذا. والثاني أن الإيثار بالقرب مكروه أو خلاف الأولى. فكان ابن عمر يمتنع من ذلك لئلا يرتكب أحد بسببه مكروهاً أو خلاف الأولى، بأن يتأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثره به، وشبه ذلك، قال أصحابنا: وإنما يحمد الإيثار

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٩/١٦.

بحظوظ النفوس وأمور الدنيا دون القرب)[١].

وقال ابن عثيمين: (ولهذا تجد الشريعة بينت مسائل الدين المهمة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وما كان دون ذلك من آداب النوم والأكل والشرب والمجالس)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٣.

الحديث رقم (٨٢٦)

٨٢٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ[1]، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث متصل بمعنى سابقه، ومؤكد له وقد صدر المعنى في صورة خبرية غرضها إفادة الحكم نفسه، وقد أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، صرفاً للمخاطبين إلى العناية بالخبر، وقد جاء المعنى النبوي في صورة الشرط التي تقرر أحقية صاحب المكان بمكانه إذا عاد إليه بعد أن قام عنه، وقوله: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) استخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (مجلس) للتعميم، وحرف العطف ثم يشير إلى فترة زمنية قبل الرجوع، وقوله (فهو أحق به) الفاء في جواب الشرط ؛لأنه جملة اسمية، وهي تدل على ثبوت حقه في مكانه، ودوامه حتى يعود إليه، والضمير (هو) يفيد التخصيص.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين.

---

(١) لفظ مسلم: (مجلسه).

(٢) برقم ٢١٧٩/٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٦.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الشرط لبيان حق من قام من مكانه ثم رجع إليه بأن يجلس في مكانه السابق، ومن ثم لا يزاحمه أحد ولا ينازعه فيه. فجاء أسلوب الشرط دعوة للمدعوين بأن يسلموا له بحقه في مكانه، وأن يقبلوا ذلك بنفسٍ راضية، ومن الملاحظ أن الحديث له روايتان فيهما أداتا شرط، فالحديث في صحيح مسلم ((إِذَا قَامَ -وفي رواية: مَنْ قَامَ- أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ))[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه:

جاء الإسلام لينظم علاقة المدعو بأهله وبمجتمعه وبعالمه، لذا وضع الإسلام من الآداب ما يكفل ان تكون علاقة المدعو بمجتمعه علاقة قائمة على الود والمحبة والتقدير والعدل، والإنصاف وعدم الاعتداء. ومن تلك الآداب أن من قام من مجلس ثم عاد إليه، فمن حقه أن يجلس فيه، كما بيّن الحديث الشريف.

قال أبوالعباس القرطبي: (هذا الحديث يدل على صحةالقول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه إلى أن يقوم منه، لأنه إذا كان أولى به بعد قيامه؛ فقبله أحرى وأولى. وذهب آخرون: إلى أن ذلك على الندب؛ لأنه موضعٌ غيرُ متملك لأحدٍ، لا قبل الجلوس، ولا بعده، وهذا فيه نظر؛ وهو أن يقال: سلمنا أنه غير متملك له لكنه يختص به إلى أن يفرغ غرضه منه، فصار كأنه يملك منفعته إذ قد مُنع غيره من أن يزاحمه عليه. وحمله مالك على الندب إذا كانت رجعته قريبة. قال: وإن بَعُدَ ذلك حتى يذهب ويبعد فلا أرى ذلك، وأنه من محاسن الأخلاق.

وعلى هذا فيكون هذا عاماً في كل المجالس، وقال محمد بن مسلمة: الحديث محمول على مجلس العلم هو أولى به إذا قام لحاجة، فإذا قام تاركاً له؛ فليس هو بأولى. وقد اختلف العلماء فيمن ترتب من العلماء، والقراء بموضع من المسجد للفتيا، وللتدريس. فحُكي عن مالكٍ: أنه أحقُّ به إذا عُرف به. والذي عليه الجمهور: أن هذا

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٩.

استحسانٌ، وليس بواجبٍ، ولعلَّه مراد مالك، وكذلك قالوا فيمن قعدَ من الباعة في موضع من أفنية الطرق، وأفضية البلاد غير المتملكة فهو أحق به ما دام جالساً فيه، فإن قام منه، ونيته الرجوع إليه من غده؛ فقيل: هو أحقُّ به حتى يتم غرضه، حكاه الماوردي عن مالكٍ؛ قطعاً للتنازع، وقيل: هو وغيره سواءٌ، والسابق إليه بعد ذلك أحق به)(١).

وقال النووي: (قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً ثم فارقه ليعوده، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلاً يسيراً ثم يعود؛ لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه؛ لهذا الحديث. هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول. قال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالكٍ، والصواب الأول.

قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سجادة ونحوها أم لا، فهذا أحق به في الحالين، قال أصحابنا: وإنما يكون أحقّ به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم)(٢).

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين:

إن إثبات حق من قام من مجلسه، في أن يعود إليه ويجلس فيه، لمن الدلائل على احترام المدعوين بعضهم بعضاً، وعلى شيوع روح التقدير فيما بينهم، قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على احترام المؤمن، وإن كان مكانه قد تلبس لحُرمة جلوسه فيه، فكان أحق به، فإذا قام ثم عاد كان أحق بمكانه الذي سبق اختياره له، وتوطيده إياه، وهذا يُفهم منه أنه محمولٌ على من قام من مجلسه ففهم الباقون أنه عائد إليه، فيكون في جلوس غيره في مجلسه إشارة إلى أنه قد كان متطلعاً إلى مكانه، وقد

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١١-٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

استراح إلى قيامه فأخذ مكانه.

والذي أرى في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ ذكره موقظاً به فطن الإخوان، للتنبيه إلى مراعاة حسن الأدب في الصحبة، ومجانبة كل ما يتلف وجوه الصفا بينهم حتى في هذا)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ))[٢].

قال النووي: (قوله ﷺ: وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ" هذا من جوامع كلمة ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[٣].

وقال ابن القيم: قال البخاري في صحيحه: قال عمار: ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقدْ جَمَعَ الإيمانَ: الإنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، وبَذْلُ السَّلامِ للعالَمِ، والإنفاقُ مِنَ الإقتارِ[٤].

قد تضمنت هذه الكلماتُ أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ولا يحملهم فوق وسعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويُعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يخبثها بتدنيسه لها، وتصغيره إياها، وتحقيرها بمعاصي الله، وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبه وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته ومحابِّه على مراضي الخلق ومحابهم، ... والمقصود أن قول عمار رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٩٤.

(٤) علقه البخاري فوق الحديث ٢٨، وانظر: كلام ابن حجر في روايته موصولاً، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار، كلام جامع لأصول الخير وفروعه.

وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضدُّ هذا، فإنه لا يُردُّ السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد.

وأما الإنفاق من الإقتار، فلا يصدُر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، وسخاء نفس بها، ووثوق بوعد وعده مغفرة منه وفضلاً، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر، ويأمر بالفحشاء، والله المستعان)[1].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤٠٧-٤١٠.

الحديث رقم (٨٢٧)

٨٢٧- وعن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، جلَسَ أحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

الشرح الأدبي

الحديث في أدب المجلس يبيِّن أدب الصحابة في دخولهم على النبي صلى الله عليه وسلم وفي مجلسه، وهو ما يؤكده البناء التركيبي لحديث الصحابي -رضي الله عنه- حيث عبَّر بالفعل الماضي الدال على تحقق الفعل، وثبوته قطعاً، ثم استخدامه لـ (نا) الفاعلين، في الفعلين (كنا، أتينا) وإضافة لفظ أحد لضمير الجماعة دلالة على عمومه، وقوله (حيث ينتهي) فيه إيجاز بالحذف أي: حيث ينتهي به المجلس بمعنى أنه لا يَتَقَدَّمُ عَلَى أَحَدٍ الحاضرين تَأَدُّبًا، وَتَرْكًا لِلتَّكَلُّفِ، وَمُخَالَفَةً لِحَظِّ النَّفْسِ مِنْ طَلَبِ الْعُلُوِّ كَمَا هُوَ شَأْنُ أَرْبَابِ الْجَاهِ، وهو من الآداب التي تراعي الجوانب النفسية بين المسلمين بما يضمن سلامة الصدور، ونقاء القلوب.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٢٥، والترمذي ٢٧٢٥ ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (٨٢٨، ٨٢٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر:

أما الإخبار فقول الصحابي جابر بن سمرة ﵁: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي"، وفائدة هذا الإخبار أنه إخبار عن فعل في مجلس النبي ﷺ فكان مطلعاً عليه ومقراً له، فكان من سنته ﷺ. فكان ذلك دعوة للمدعوين للامتثال والفعل. ومثال الإخبار قول ابن عمر ﵄: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم"[(١)].

وأما القصر فقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه سلمان ﵁: ((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر... إلا غفر ما بينه وبين الجمعة الأخرى))[(٢)].

وكذلك القصر في قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص ﵁: "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما". وفي رواية لأبي داود: "لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما"[(٣)].

وفائدة القصر في حديث سلمان ﵁ بيان فضل من فعل ذلك، أما القصر في الحديث الآخر فبيان الجائز من الأفعال.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على مجالسة النبي ﷺ:

نبينا محمد ﷺ هو الرسول والمعلم، عنه يؤخذ الحلال ويعرف الحرام، وبمتابعته والاقتداء به يصل المدعو إلى الفلاح والفوز، لذا كان الصحابة ﵃ أشد الناس حرصاً على مجالسة النبي ﷺ، يوضح هذا قول الصحابي جابر بن سمرة ﵁: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي". فدل هذا على كثرة إتيانهم إلى النبي ﷺ ومجالسته، والإنصات لقوله، والنظر إلى فعله ليفعلوا مثلما يفعل، وسؤاله ﷺ عما يشغلهم ويهمهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومن هذا القبيل قول سماك بن حرب لجابر بن سمرة رضي الله عنه: ((أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: نَعَمْ. كَثِيراً. كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوِ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ. فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ))[1].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه حنظلة بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه قال: ((نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين))[2].

وقد كان سبب حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم هو الاقتداء به والعمل على طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لذا فإننا قد نتمثل هذه المجالسة في حياتنا المعاصرة، بأن نحرص على معرفة سنته، والجلوس لتدارسها، والحض على امتثالها وتفعيلها في أرض الواقع، فإن كان فاتنا مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه، فلا يفوتنا مجالسة أقواله وأفعاله وسيرته، حتى يجمعنا الله به في جنته اللهم آمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس، وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما:

لا يكاد يخلو يوم في حياة الناس من أن يضمهم مجلس واحد، لذا حضّ الإسلام على وضع بعض الآداب، التي إذا التزم الناس بها في مجالسهم تحابوا وتآلفوا، وشاع بينهم الاحترام المتبادل، ومن هذه الآداب:

أ- الجلوس حيث ينتهي المجلس، وهذا واضح من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال المباركفوري: (والحاصل أنه لا يتقدم على أحد من حضاره "أي الحاضرين المجلس" تأدباً وتركاً للتكلف، ومخالفة لحظ النفس من طلب العلو، كما هو شأن أرباب الجاه)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٦٣.

(ففي هذا الحديث أدب وتأديب للنفوس وتربية لها، إذ على القادم إلى مجلس أن يجلس حيث ينتهي به المجلس إن شاء وإلا انصرف، ولا ينبغي أن يزاحم غيره فيؤذيه، ولا يجلس وسط الحلقة لما جاء من النهي، ولا يقيم أحداً ليجلس مكانه، ولا يستنكف أن يجلس في أخريات الناس، بل يقصد كسر النفس وتهذيبها، وتعويدها على التواضع ومخالفة الشيطان، فإن ذلك من صفات أولياء الرحمن، فإن الرضا بالدون من شرف المجالس. ويندب إكرام أهل العلم والفضل، والسابقة في الجهاد والإيمان، حباً واحتراماً لا تعظيماً وتفخيماً)[1].

ب- عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما[2]، كما هو واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ (لأنه قد يكون بينهما محبة ومودة، وجريان سر وأمانة، فيشق عليهما التفرق بجلوسه بينهما)[3].

قال ابن عثيمين: (وكذلك أيضاً من آداب المجلس ألا يفرق بين اثنين، يعني لا يجلس بينهما فيضيق عليهما... أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق، لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرقا، لكن أن تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما، هذا من الإيذاء)[4].

كما أن هذا التصرف يوقع في النفوس الضغائن، ويورث الكراهية والحقد، لشعورهما بأن هذا الجالس بينهما بغير إذن إنما هو للاحتقار والإزراء بهما، وعدم احترام خصوصياتهما، وإنَّ أخذ المسلم بهذا التوجيه فيه احترام للمشاعر، وتنظيم للعلاقات، وتقدير للخصوصيات، وهو دليل على الخلق النبيل والسلوك الجميل في التعامل مع الآخرين.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة:

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٠٥/١.

(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٣١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٨٠/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٥/٢-١١٢٦.

يوم الجمعة من أفضل الأيام، وصلاة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى؛ لذا أحاطها الشرع بآداب كثيرة، تبين فضلها ومكانتها، كما يتضح ذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصُه بعبادات يختص بها عن غيره. وقد اختلف العلماء: هل هو أفضلُ، أم يومُ عرفة؟ على قولين: هما وجهان لأصحاب الشافعي)[1].

وخصائص يوم الجمعة كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه "زاد المعاد" فأوصلها إلى ثلاث وثلاثين ومائة[2]، من ذلك قول ابن القيم:

(**الخاصة الثالثة:** صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومِن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظمُ مِن كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضُه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاوناً بها، طبع اللهُ على قلبه، وقُربُ أهل الجنة يومَ القيامة، وسبقُهم إلى الزيارة يومَ المزيد، بحسب قُربهم من الإمام يومَ الجمعة وتبكيرهم.

الخاصة الرابعة: الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمرٌ مؤكد جداً.

وللناس في وجوبه ثلاثةُ أقوال: النفيُ والإثبات، والتفصيلُ بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها، فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه، فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد.

الخاصة الخامسة: التطيب فيه، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع.

الخاصة السادسة: السِّواك فيه، وله مزية على السواك في غيره.

الخاصة السابعة: التبكير للصلاة)[3].

قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغتسَلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الْجنابةِ ثم راحَ فكأنَّما قرَّب بَدَنَةً، وَمَن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأَنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأَنما قرَّب كَبشاً أَقْرَنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأَنما قرَّب دَجاجةً، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأَنما قرَّبَ بيضةً. فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يَستَمِعُونَ الذِّكر))[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٥/١.

(٢) المرجع السابق ٣٧٥/١-٤٢٥، وانظر: الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ١٧٠/١-١٨٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧٦/١-٣٧٧

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

قال ابن القيم: (إنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملاً على صلاة وقربان. وكان يوم الجمعة يوم صلاة، جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلاً من القربان وقائماً مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان)[١].

الخاصة الثامنة: أن يشتغل بالصلاة، والذكر، والقراءة حتى يخرج الإمام.

الخاصة التاسعة: الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوباً في أصح القولين، فإن تركه، كان لاغياً، ومن لغا، فلا جمعة له، وفي "المسند مرفوعاً "والذي يقول لصاحبه: أنصِتْ، فَلا جُمُعَةَ لَهُ"[٢]، [٣].

وقال ابن عثيمين: (كذلك من آداب الجمعة: ألا يفرق بين اثنين)[٤].

وقد أخرج البخاري هذا الحديث أيضاً في كتاب الجمعة تحت باب: "لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة"[٥]. وعن أبي الزاهرية، قال: ((كُنَّا مع عَبْدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فقال عَبْدُ اللهِ بنُ بُسْرٍ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فقال لَهُ النَّبيُّ ﷺ: اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ))[٦].

قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: التفرقة بين اثنين يتناول القعود بينهما أو إخراج أحدهما والقعود مكانه، وقد يطلق على مجرد التخطي، وفي التخطي زيادة رفع رجليه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٥١، من حديث علي بن أبي طالب ﷺ مطولاً وفيه: "وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: صَهْ. فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ" واللفظ لأبي داود، وقد ضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ٢٣٠)، وقد أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١ بلفظ «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»، وذلك من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٧٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٦.

(٥) الحديث رقم ٩١٠.

(٦) أخرجه أبو داود ١١١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٨٩).

على رءوسهما أو أكتافهما، وربما تعلق بثيابهما شيء مما برجليه، وقد استثنى من كراهة التخطي ما إذا كان في الصفوف الأول فرجة، فأراد الداخل سدها، فيغتفر له لتقصيرهم)[١].

وليوم الجمعة كثير من الخصائص غير هذا (ومع هذا يتساهل كثير من الناس في حق هذا اليوم، فلا يكون له مزية عندهم على غيره من الأيام، والبعض الآخر يجعل هذا اليوم وقتاً للكسل والنوم، والبعض يضيعه باللهو واللعب والغفلة عن ذكر الله، حتى إنه لينقص عدد المصلين في المساجد في فجر ذلك اليوم نقصاً ملحوظاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله)[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة:

(إن خطبة الجمعة لها أهمية عظيمة في الإسلام، لما تشتمل عليه من تلاوة القرآن وذكر أحاديث الرسول ﷺ وتضمنها التوجيهات النافعة والموعظة الحسنة، والتذكير بأيام الله، فيجب الاهتمام بها من قبل الخطيب ومن قبل المستمعين، فليست خطبة الجمعة مجرد حديث عادي كالأحاديث التي تلقى في النوادي والاحتفالات والاجتماعات العادية)[٣] لذا حرص النبي ﷺ على حض المستمعين على الإنصات للخطبة، فقال: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام". قال ابن القيم عن خصائص يوم الجمعة:

(**الثانية والعشرون:** أن فيه الخطبةَ التي يُقصد بها الثناءُ على الله وتمجيدُه، والشهادةُ له بالوحدانية، ولرسولِه ﷺ بالرسالةِ، وتذكيرُ العباد بأيامه، وتحذيرُهم من بأسه ونِقمته، ووصيتُهم بما يُقَرِّبُهم إليه، وإلى جِنَانه، ونهيُهم عما يُقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها)[٤].

وقال: (ومن تأمل خطبَ النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٥٦.

(٢) الملخص الفقهي ١/١٧٢.

(٣) الملخص الفقهي ١/١٧٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٩٨.

والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تُحبِّبه إلى خلقه، وأيامِه التي تُخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبهم إليه، فيذكرون مِن عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يُحبِّبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يُحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبُّوه وأحبهم، ثم طال العهدُ، وخفي نورُ النبوة، وصارت الشرائعُ والأوامرُ رسوماً تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطَوْها صورها، وزيَّنوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلالُ بها، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصَّعوا الخُطب بالتسجيع والفِقر وعلم البديع، فَنقَص بل عَدِمَ حظُّ القلوب منها، وفات المقصودُ بها)[١].

وقال ابن القيم كذلك: (وكان ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي)[٢].

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن حديث سلمان الفارسي قائم على الترغيب. فقد أخبر النبي ﷺ أن من فعل هذه الآداب يوم الجمعة فقد "غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى"، ومن هذا القبيل حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعة، ثُمَّ لَبِسَ ثِيابَه، وَمَسَّ طيباً إن كان عِنْدَه، ثُمَّ مَشى إلى الجُمُعة وعَلَيْه السَّكِينَةُ، ولم يَتَخَطَّ أَحَداً، ولم يُؤْذِه، وركَعَ ما قُضِيَ له، ثُمَّ انتظرَ حتَّى يَنْصَرِفَ الإمامُ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ))[٣].

والترغيب أسلوب دعوي له ثماره الطيبة "فإن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى، والتوجه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٢٣-٤٢٤.

(٢) السابق ١/٤٢٧.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١٩٨ رقم ٢١٧٢٩، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حرب بن قيس لم يسمع من أبي الدرداء ٣٦/٥٩.

الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وإنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة"[1]، ولذا فإن المسلم عندما يقرأ هذا الحديث أو يسمعه، فإنه يكون شديد الرغبة في فعل هذه الخصال يوم الجمعة، حتى تغفر ذنوبه وتكفر سيئاته، لكن ينبغي التنبيه أن السيئات التي تكفر في هذا العمل هي صغائر الذنوب، أما كبائر الذنوب فلايكفرها إلا التوبة النصوح، وهذا عام بجميع الأعمال الصالحة التي ورد أنها تكفر الذنوب، كصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والحج المبرور وغير ذلك مما أتت به النصوص. وهذا قول جمهور العلماء[2].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٢) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٤٩/٢.

الحديث رقم (٨٢٨)

٨٢٨- وعن أَبي عبد الله سَلْمَان الفارسي رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٥).

غريب الألفاظ:

يَدَّهِنُ: يَطلي نفسه[2].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطَيَّبُ بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدُّهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه[3].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول سنن الجمعة، ويرغب فيها، وقد جاء في أسلوب خبري في جملة قصر طويلة بالنفي، والاستثناء، وهو طريق يساق به المعنى الذي ينكره المخاطب، أو يجهله، ونلاحظ في الحديث أنه مفعم بالحركة التي تجسِّدها الأفعال، وقد انقسمت هذه الأفعال قسمين: الأول: أفعال مضارعة تصور الاجتهاد، والدأب للترقي من حسن إلى أحسن (يغتسل، يتطهر، يدهن، يمس، يخرج، يفرق، يصلي، ينصت) فالبداية

(١) برقم ٨٨٣. وأورده المنذري في ترغيبه ١٠٢٣. وسيكرره المؤلف برقم ١١٥٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د هـ ن).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمصابح في (د هـ ن).

(٤) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س س).

بالاغتسال الدال على النظافة الظاهرية، ثم التطهر الذي يوحي بالطهارة المعنوية، والظاهرية، ثم الدهن الذي يعطي هيئة حسنة، ثم الطيب لإنعاش الروح، ثم الخروج الذي يعني القصد، والنية، ثم رعاية حال الناس، وعدم التفريق بينهم، ثم الصلاة التي تعني الاتصال بالله ثم الإنصات الذي يعني تمام التهيؤ لتلقي الموعظة.

الثاني: أفعال ماضية تدل على التحقق (استطاع - كُتب - تكلم - غُفر) والفعل الأول يدل على أن المدار في إتيانها على القدر المستطاع دون تكلف، والفعل الثاني يدل على يقينه بأن ما وُفِق إليه من الصالحات من فضل الله الأمر الذي يعود به إلى اليقين بعظمة فضل الله عليه، وهو ما يشي به الفعل الماضي في صيغة ما لم يسم فاعله (كُتب) والفعل الثالث يدل على بلوغ الموعظة حال الصمت الذي هيأه الإنصات، والفعل الرابع غُفر، وهو بمثابة الجائزة التي توجِّه الحركة من بداية الحديث بدافع الرغبة في الحصول عليها، وهو جزاء من جنس العمل لأن من طهر ظاهره بالغسل، والطهارة، والتطيب، وطهر باطنه بالقصد، والتوكل، والصلاة، نقّاه الله من خطاياه.

فقه الحديث

١-ما يستحب لصلاة الجمعة:

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب مع الاغتسال للجمعة أن يتنظف بإزالة أظفار وشعر وما يحتاج إلى إزالته كوسخ ونحوه، وأن يتطيب ويدهن ويتسوك ويلبس أحسن ثيابه، وأفضلها البيض، ويستحب للإمام أكثر مما يستحب لغيره من الزينة وغيرها ... واعلم أن هذا المذكور من استحباب الغسل والطيب، والتنظف بإزالة الشعور المكروهة والظفر والروائح الكريهة ولبس أحسن ثيابه، ليس مختصًا بالجمعة، بل هو مستحب لكل من أراد حضور مجمع من مجامع الناس. نصّ عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب وغيره. قال الشافعي: أحب ذلك كله للجمعة والعيدين وكل مجمع يجتمع فيه الناس. قال: وأنا لذلك في الجمع ونحوها أشد استحبابًا. قال الشافعي والأصحاب: وتستحب هذه الأمور لكل من أراد حضور الجمعة ونحوها، سواء الرجال والصبيان والعبيد، إلا النساء فيكره لمن أرادت منهن الحضور، الطيب والزينة وفاخر

الثياب، ويستحبّ لها قطع الرائحة الكريهة. وإزالة الظفر والشعور المكروهة)[١].

٢-كراهة تخطي الرقاب:

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد كراهة التخطي يوم الجمعة. قال الشافعي: أكره التخطي، إلا لمن لا يجد السبيل إلى المصلّى إلا بذلك أ هـ. وهذا يدخل فيه الإمام، ومن يريد وصل الصف المنقطع إن أبي السابق من ذلك، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذي قام منه لضرورة، واستثنى المتولي من الشافعية من يكون معظمًا لدينه أو علمه، أو ألِفَ مكانًا يجلس فيه، أنه لا كراهة في حقه. وفيه نظر، وكان مالك يقول: لا يكره التخطي إلا إذا كان الإمام على المنبر)[٢].

٣-مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة: قال ابن حجر: (وفيه مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة، لقوله: "صلى ما كتب له" ثم قال: "ثم ينصت إذا تكلّم الإمام" فدلّ على تقدم ذلك على الخطبة)[٣].

٤-جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة، قال ابن حجر: (فيه جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة)[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٦/٤-٢٨٧، وانظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٢/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٠٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٦٣/١، وشرح الروض المربع ٤٧٠/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/٢٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧١/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/٢، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء انظره في: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٩٣/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٦/١١-٤٧ ومراجعها التي منها رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٥٣/١، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٤٧/١-١٤٨، وجواهر الإكليل ٩٧/١، والشرح الكبير ٣٨٥/١، ومنهاج الطالبين ٢٨٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٠/٣-٢٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/٢.

(٤) المرجع السابق ٣٧٢/٢.

٥-قال ابن حجر: (واستدل به على أن التكبير ليس من ابتداء الزوال، لأن خروج الإمام يعقب الزوال، فلا يسع وقتًا يتنفل فيه)[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) المرجع السابق ٢/٣٧٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٩)

٨٢٩- وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ انْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية لأبي داود[2]: ((لاَ يُجْلسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الآداب التي تنظم العلاقات الاجتماعية، وتحترم الخصوصية، وتدعم الحرية الشخصية، وقد ساق الراوي حديثه بأسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وقد جاء كلام الرسول ﷺ في أسلوب إنشائي تصدَّره نهي عام في قوله (لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا) وتنكير كلمة (رجل) يفيد العموم، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: التفريق، والفعل المضارع يصوِّر فعل التفريق، وانتهاك خصوصية المتحابين، وقطع السر، وغيره مما يوغر الصدور، ويسبب الضيق، ويفسد بين الناس، ولذلك استثنى المأذون له منهما؛ لأنه لا اعتداء ثَمْ على حريتهما.

فقه الحديث

١-الجلوس بين الاثنين بدون إذنهما:

إذا أراد الشخص أن يجلس بين رجلين فعليه استئذانهما، وذلك لقوله ﷺ: ((لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)).

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

(٢) برقم ٤٨٤٤. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

وعدّ ابن حجر الهيتمي من الشافعية أن التفريق بين الاثنين بدون إذنهما كبيرة، وذلك أخذًا من اللعن المذكور في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو أخذ ظاهره إذا تأذى منه غيره إيذاءً لا يحتمل عرفًا، وعليه يحمل حديث اللعن. وأما القول بالكراهة فإنه يحمل على ما إذا خفّ الإيذاء.

والحكمة من النهي ظاهرة، إذ قد يكون بينهما مودة أو محبة، أو حديث سر وجلوسه بينهما يسوءهما[1].

٢-الجلوس وسط الحلقة: قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه يتأخر، أي أنه كان يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن من جلس وسط الحلقة.

ولأن الجالس وسط الحلقة يستدبر البعض بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبونه ويلعنونه، ويستحب له أن يجلس حيث ينتهي به المجلس[2].

والظاهر من اللعن الإطلاق لتأذيهم. وقيل مختص بمن يجلس استهزاءً كالمضحك وبمن يجلس لأخذ العلم نفاقًا.

وأما تفسير السبب في لعنه بأنه يتخطى رقاب الناس، ويجلس وسط الحلقة ويحجب البعض عن بعض فقد قال المناوي: فغير قويم، إلا إن قيل بقصد الضرر، أو أُوِّل اللعن بالأذى. ووجه اللعن أنهم يلعنونه ويذمونه[3].

المضامين الدعوية[4]

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٢٥١/١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٠٥/١.

(٣) بريقة محمودية لمصطفى الخادمة الحنفي ١٦٦/٤، ١٦٧.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٢٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٧، ٨٢٨).

الحديث رقم (٨٣٠)

٨٣٠- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ حسن.

وروى الترمذيُّ[2] عن أبي مِجْلَزٍ: أنَّ رَجُلاً قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ -أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ- مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. قَالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الحديث مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً لمن يخبر عنه، وما يخبر به، وقد تصدَّر الحديث خبر غريب بدأ بلفظ يثير الانتباه، ويحقق الترقب؛ لأنه من الألفاظ التي تشغل العقل بالبحث عن سببها لاسيما إذا صدرت من صادق لا يكذب ومن داعٍ لا ترد دعوته، وهو (لعن) وقوله: (من جلس وسط الحلقة) من اسم موصول، وتعريف المسند إليه بالموصولية للتنبيه على خطأ، والفعل يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأنه في صورة الماضي، و (وسط الحلقة) لأنه يَتَخَطَّى رِقَاب، وَيَقْعُد وَسْطهَا وَلا يَقْعُد حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِس فَلُعِنَ لِلأَذَى، وَقَدْ يَكُون فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَعَدَ وَسْط الْحَلْقَة حَال بَيْن الْوُجُوه فَحَجَبَ بَعْضهمْ عَنْ بَعْض فَيَتَضَرَّرُونَ بِمَكَانِهِ وَبِمَقْعَدِهِ هُنَاكَ.

---

(١) برقم ٤٨٢٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٨.

(٢) برقم ٢٧٥٣. إسناده منقطعٌ، رواه أحمد في المسند ٢٣٢٧٧ وقال عقبه: قال حجّاج: قال شعبةُ: لم يدرك أبو مجلز شعبة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أسلوب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين.

ثالثاً: من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين.

أولاً- من أسلوب الدعوة: الترهيب:

إن الترهيب في هذا الحديث نابع من استخدام لفظ اللعن، وفي ذلك ترهيب شديد وتخويف كبير. جاء في الموسوعة الفقهية: (اللعن في اللغة: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء. وكانت العرب في الجاهلية تحيي ملوكها: أبيت اللعن، ومعناه: أبيت أيها الملك أن تأتي ما تعلن عليه. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ... ويكون اللعن لبيان أن تلك الأوصاف للتنفير عنه والتحذير منه)[١].

قال العز بن عبدالسلام: (اللعن أبلغ في القبح من السب المطلق)[٢].

كما أن من آداب الداعية الترهيب من السلوك الاجتماعي المنفر للآخرين؛ لأن الداعية في مقام الناصح الأمين، يحض على الأخلاق الفاضلة، وينفر من الأخلاق السيئة التي تنفر الآخرين من صاحبها، ولذلك رهب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، كما في الحديث. وقد قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[٣].

قال القاسمي: (أى لا ينهي بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/٣٥-٢٧٤.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٢٠/١ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/٣٥-٢٧٣.

(٣) سورة المائدة، آية : ٧٨-٧٩.

ذلك ليحذر من ارتكاب مثل الذي ارتكبوه، فقال "لبئس ما كانوا يفعلون"، مؤكداً بلام القسم تعجباً من سوء فعلهم، كيف وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير)[١].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ))[٢].

قال النووي: (أما اللعانان: فكذا وقع في مسلم، ووقع في رواية أبي داود: "اتقوا اللاعنين"، والروايتان صحيحتان.

قال أبو سليمان الخطابي[٣]: (المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شُتم ولُعن، يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك، أضيفَ اللعن إليهما.

قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن: مواضع اللعن.

قلت: فعلى هذا؛ يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما، وهذا على رواية أبي داود.

وأما رواية مسلم؛ فمعناها -والله أعلم-: اتقوا فعل اللعانين، أي: صاحبي اللعن، وهما اللذان يلعنهما الناس في العادة، والله أعلم.

قال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخاً ينزلونه ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود تحته، فقد قعد النبي ﷺ تحت حايش النخل[٤] لحاجته، وله ظل بلا شك، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: "الذي يتخلى في طريق الناس" فمعناه: يتغوط في موضع يمر به الناس، وما نهى عنه في الظل والطريق؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره، والله أعلم)[٥].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٧/٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩، وأبو داود ٢٥.

(٣) معالم السنن ٣٠/١.

(٤) النخل الملتف المجتمع، كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضًا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٤٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين:

وذلك واضح من الحديث. قال الخطابي: "وهذا يتأول فيمن يأتي حلقة قوم، فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها، ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس، فَلُعِن للأذى، وقد يكون في ذلك أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه وحجب بعضهم من بعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك)[١].

قال ابن الأثير: (لأنه إذا جلس في وسَطها، استَدْبر بعضَهم بظَهره، فيُؤذيهم بذلك فيَسبُّونه ويَلْعنُونه. ومنه الحديث أنه ﷺ قال: "لا حِمَى إلاّ في ثلاث" وذكر منها "حَلْقة القوم"[٢] أي لهم أن يَحْمُوها حتى لا يَتَخطَّاهم أحد ولا يَجْلس وسطها)[٣].

وقال الطيبي: (قال التوربشتي: المراد منه -والله أعلم- الماجن الذي يقيم نفسه مع السخرية ليكون ضحكة بين الناس، ومن يجري مجراه من المتأكّلين بالسمعة والشعوذة)[٤].

ومن قبيل مراعاة شعور الآخرين قول النبي ﷺ: ((لاَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلاَ يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلاَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلاَ عَلَى خَالَتِهَا، وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِىءَ صَحْفَتَهَا، وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا))[٥].

قال ابن الأثير: (المُساوَمَة: المُجاذَبَة بين البائع والمشتري على السلْعةِ وفَصلُ ثَمَنِها... والمنْهيُّ عنه أن يتَساوَم المُتَبايعان في السلْعة ويَتقَارَبَ الانعقاد، فيجيء رجلٌ آخر يريد أن يشتري تلك السلْعة، ويُخرِجها من يد المُشتري الأوّل، بزيادةٍ على ما استقرَّ الأمرُ عليه بين المُتساوِمَين ورَضِيا به قبل الانعقاد، فذلك ممنوعٌ عند المُقاربة، لما فيه من الإفساد،

---

(١) معالم السنن ١٨٣/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٧٥/٦ والبيهقي في السنن ١٥١/١، ١٥٦، وقال محققا الآداب الشرعية ٤٣٠/١: وهو مرسل.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٢٦.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٣/٩.

(٥) أخرجه مسلم ٣٨-١٤٠٨.

ومُباحٌ في أوَّلِ العَرْض والمساومة)[١].

وقال النووي: (قوله ﷺ: "وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِيءَ صَحْفَتَهَا..."، معنى هذا الحديث: نَهَى الْمَرْأَةَ الأَجْنَبِيَّةَ أَنْ تَسْأَلَ الزَّوْجَ طَلاقَ زَوْجَتِهِ، وَأَنْ يَنْكِحَهَا وَيُصَيِّرَ لَهَا مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَعْرُوفِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَنَحْوِهَا مَا كَانَ لِلْمُطَلَّقَةِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِاكْتِفَاءِ مَا فِي الصَّحْفَةِ مَجَازًا، والمراد بأختها: غيرها سواء كانت أختها من النسب أو أختها في الإسلام، أو كافرة)[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين:

إن المدعو الحق حريص أشد الحرص على أن يجتنب ما يلحق الأذى بالآخرين، أو يسبب لهم ضرراً، لذا رهّب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، لما في ذلك من الضرر. قال ابن مفلح: (قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة". أنبأنا أبو داود قال: رأيت أحمد بن حنبل إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه، يتأخر يعني يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي ﷺ، انتهى كلامه)[٣].

قال ابن عثيمين: (ومن الآداب أيضاً: أنه يجلس حيث انتهى به المجلس، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين، سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط الحلقة. وذلك أنك تحول بينهم وبين من معهم، ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحد في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في ذلك عدوان عليهم وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك)[٤].

فعلى المسلم أن يراعي الآداب الحسنة، فلا يكون سبباً للأذى والفوضى، وإلحاق الضرر بالآخرين، فلا يجلس في وسط الحلقة، لأن الجلوس وسط الحلقة فيه شذوذ وتشويش، ومن يفعل ذلك فإنه يكون ممقوتاً من الجالسين، ومذموماً من الشارع الحكيم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧٧.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/ ٤٣٠.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/ ١١٢٧.

الحديث رقم (٨٣١)

٨٣١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((خَيْرُ المَجَالِسِ أوْسَعُهَا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح عَلَى شرط البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث مبني على الإيجاز بالقِصَر؛ لأنه مكون من جملة واحدة من ثلاث كلمات لكنها ذات دلالة واسعة، ومعنى عميق، ومن مزايا الأحاديث القصار، سهولة الحفظ، وسرعة الانتشار، وقد جاءت بأسلوب خبري، وقد سيق مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكر، ولفظ (خير) من الألفاظ التي تبشر بمحبوب ينتظر، وإضافته للمجالس للبيان، والمسند أفعل تفضيل يرغب في التوسعة في المجالس التي تضمن مكاناً فيها لكل من يريدها، وفي هذا فرصة لنشر الخير، والعلم على نطاق واسع، وهو ينسحب على كل مجلس خير في الطعام، والعلم، والموعظة وغيرها، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأزمان، والبلدان؛ لأنه أروح للجالس، وأمكن في تصرفه من قيامه، وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة، و الإكرام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السعة والتوسع في المجالس.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) برقم ٤٨٢٠. وقال الحاكم ٢٦٩/٤: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

لقد وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير وأثبت لها الخيرية، قال ابن عثيمين: "ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة، فإن سعة المجالس من خير المجالس. كما قال ﷺ: "خير المجالس أوسعها"؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً كثيرة، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حُجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنك السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناساً كثيرين؛ ولأنه أشرح للصدر"[1].

وقد أمر النبي ﷺ بالتفسح في المجلس والتوسعة فيه، فقد قال ﷺ: ((لا يُقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فيهِ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا))[2].

ففي حديث الباب من الفوائد، الترغيب في إفساح المجالس ودفع ما يفضي إلى ضيقها، لأن ضيقها يكدر الخواطر، ويولد الكراهية بين المتجالسين، وقد يفقد المجلس ثمرته إن كان مجلس علم أو قضاء أو غيره. فخير المجالس أوسعها بالنسبة لأهلها، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان والبلدان، لأنه أروح للجالس وأمكن في تصرفه من قيامه وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة والإكرام)[3].

والحديث عام في كل المجالس التي يجتمع فيها الناس، وجدير بمن يكون مسؤولاً عن شيء من ذلك أن يختار السعة على الضيق، فالمساجد الواسعة، وقاعات الدراسة وصالات المحاضرات، ينبغي أن يحرص فيها على الوسع، بل وحتى في مجالس البيوت، فإن الدار الواسعة من حسنات الدنيا العاجلة.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان الحقائق:

لقد أخبر ﷺ عن أن خير المجالس أوسعها، وهذا بيان للمدعوين ووضع الحقائق أمامهم، ليفعلوا الأخيْر والأحسن والأفضل.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٩١١، ٦٢٧٠، ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٧٧.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٤٧٦/٣.

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمعَةِ))[1].

قال النووي: (قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته، لأن إخراج آدم لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته)[2].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين:

لقد بين النبي ﷺ فضل وسع المجالس، وجعل الواسع منها هو خيرها وأفضلها، وذلك لما فيه من الفوائد الجمة والمنافع الكثيرة، لعل من أهمها الأريحية التي يكون عليها الجالسون، مما قد تكون سبباً في تآلفهم وتوادهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[3].

قال الطاهر بن عاشور: (الآية لا تدل إلا على الأمر بالتفسح إذا أمر به النبي ﷺ، ولكن يستفاد منها أن تفسح المؤمنين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوباً أو ندباً، لأنه من المكارمة والإرفاق، فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين، وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيها غيره، فهي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده، وذلك ما لم يفض إلى شدة مضايقة أو مضرة، أو إلى تفويت مصلحة من سماع أو نحوه، مثل مجالس العلم و الحديث وصفوف الصلاة، وذلك قياس على مجلس النبي ﷺ في أنه مجلس خير... قال مالك: ما أرى الحكم إلا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر. يريد أن هذا الحكم وإن نزل في مجلس النبي ﷺ فهو شامل لمجالس المسلمين من مجالس الخير، لأن هذا أدب ومؤاساة،

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٦٠، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٤٧/٣.

(٣) سورة المجادلة، آية : ١١.

فليس فيه قرينة الخصوصية بالمجالس النبوية، وأراد مالك بـ"نحوها" كل مجلس فيه أمر مهمّ في شؤون الدين، فمن حق المسلمين أن يحرصوا على إعانة بعضهم بعضاً على حضوره. وهذا قياس على مجلس النبي ﷺ وعلته هي التعاون على المصالح. وأفهم لفظ التفسح أنه تجنب للمضايقة والمراصة، بحيث يفوت المقصود من حضور ذلك المجلس أو يحصل ألم للجالسين)[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وهذا واضح من وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير، ولا شك أن هذا ترغيب للمدعوين لكى يمتثلوا لهذا الأدب ويطبقوه في مجالسهم المختلفة، بحيث تتسع للجالسين جميعاً، ولا يكون فيها مضايقة وألم لبعضهم أو كلهم.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٨/٣٨.

الحديث رقم (٨٣٢)

٨٣٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ، أسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ)) رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغطه: أي تكلم بما فيه إثم[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بأدب المجلس، ويتتبع ما يقع فيه من لغط ترجع تبعته على الجالسين، ويربطهم بالله ذكراً، وفكراً، وهو منهج يربي عليه النبي ﷺ أصحابهم يجعلهم في كل شأن من شؤون حياتهم متصلين بالله.

وأسلوب الحديث شرطي غرضه الترغيب بربط مغفرة ذنوب المجلس بقول هذا الدعاء، والربط بالفاء في قوله: (فكثر - فقال) يشير إلى ضرورة المسارعة إلى التوبة، وتتبع الذنب بالاستغفار، يؤكد ذلك الظرف (قبل) وإضافة المجلس له إضافة تخصيص، واسم الإشارة (ذلك) يؤكد هذا، ويقرره.

---

(١) برقم ٣٤٣٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ٥٣٧/١: هذا الإسناد صحيحٌ على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علّله بحديث وهيب، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأخبار من قوله. وقال في معرفة علوم الحديث ص ١١٣: هذا حديثٌ من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح، وله علة فاحشةٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥١/٢، وفي دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٧٣: كثر فيه كلامه بما لا ينفعه في آخرته.

والدعاء يبدأ بجملة التنزيه لله عن كل نقص (سبحانك)، ثم التَّوجه لله بكل الجوارح مع استحضار أسمائه الحسنى، وصفاته العلى عن طريق صيغة (اللهم) التي جاءت معترضة بين التنزيه والحمد لهذه الخصيصة فيها التي تحيط الدعاء بحالة من الخشوع، والخضوع، ثم حمده، ثم توحيده عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لا إله إلا أنت) والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه.

ثم طلب المغفرة، والتوبة الذي قدَّم له بتنزيه الله، وحمده، والاعتراف بوحدانيته مما يحقق له ما أراد بالخلاص من لغط مجلسه، فربما - وقعت فيه كلمة يسجن بها سبعين سنة، وليتها في سجن بل في النار، وهو لا يبالي -كما أخبر ﷺ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[1].

فقه الحديث

التحميد للقائم من المجلس مستحب[2]، لهذين الحديثين[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو.

ثالثاً: من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله.

رابعاً: من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار.

خامساً: من وسائل الدعوة: السؤال والجواب.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) سنن بن ماجة حديث (٣٩٦٠).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/١٠، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) الحديث رقم (٨٣٢)، (٨٣٣).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٣).

أولاً- من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام:

إن الإنسان جبل على حب الكلام والإكثار منه، لذا يكثر في كلام جماهير الناس اللغو واللغط ونحوه مما لا فائدة ولا نفع فيه، لذلك رغب الإسلام في الاقتصاد في الكلام، فلا يقول إلا خيراً أو ليصمت، وهذا يستنبط من حديث أبي هريرة "من كثر لغطه"، فإنه يدل على أنه الأولى بالمرء أن يتجنب اللغو واللغط.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: اللغط بالتحريك الصوت وأراد به الهراء من القول[1]، وما لا طائل تحته من الكلام، فأحل ذلك محل الصوت العرى عن المعنى[2])[3].

وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[4].

قال النووي: (وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري قال: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال. قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من الآفات، ذلك نعت أرباب الرياضة، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق. وروينا عن الفضيل بن عياض قال: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه. وعن ذي النون: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه)[5].

---

(١) في المطبوع: الهزاء، وهو تحريف. والهراء: الكلام الكثير الفاسد لا نظام له. ويقال: رجل هراء: إذا كان كثير الكلام هذاء. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٨٠.

(٢) اللغط: صوتٌ وضجة لا يفهم معناها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٣٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٧٢/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢.

قال ابن مفلح: (وروى الخلال عن عطاء قال: كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك بما لابد لك منه ...

وقال ابن عبدالبر: قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام، وقال عمر بن الخطاب: من كثر كلامه كثر سقطه ... أوصى ابن عباس بخمس كلمات فقال: إياك والكلام فيما لا يعنيك في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه في غير موضعه قد عنت. ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً. فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك. واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، ودع ما تحب أن يدعك منه، واعمل عمل رجل يعلم أنه يجازى بالإحسان ويكافأ)(١).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو(٢):

يسود المجالس في غالب الأحيان كثير من اللغط وما لا طائل تحته ولا فائدة فيه، فمن جلس مجلساً وكثر لغطه، عليه أن يأتي بهذاالدعاء قبل أن يقوم من مجلسه: "سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إلا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلك". وفي الحديث الآخر: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

قال المباركفوري: (فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك". ولعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾(٣)، واللهم معترض، لأن قوله "وبحمدك" متصل بقوله سبحانك، إما بالعطف أى أسبح وأحمد، أو بالحال: أى أسبح حامداً لك "إلا غفر له" أي ما حبس شخصاً مجلس فكثر لغطه فيه فقال ذلك إلا غفر له "ما كان" أي من اللغط)(٤).

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٦٢/١-٦٦.

(٢) اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٨٣١، والمراد باللغط واللغو هنا ما لا ينفعه في الآخرة، فيكون من الكلام المباح أو المكروه، لا المحرم، فلا يدخل فيهما الغيبة والنميمة، لأنهما محرمتان، والله أعلم.

(٣) سورة الطور، آية : ٤٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥١/٢.

وقال ابن حبان في صحيحه: "ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند القيام من مجلسه ختم له به، إذا كان مجلس خير، وكفارة له إذا كان مجلس لغو"[١]. وأخرج تحته قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس لغو أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات، إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن عليه كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[٢].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٣]، قال: من كل مجلس[٤]. وقال ابن مفلح: (روى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قوله عز وجل: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٥]، منهم مجاهد وأبو الأحوص ويحيى بن جعدة، وعطاء قالوا: "حين تقوم من مجلس تقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وقالوا: من قالها غفر الله له ما كان في المجلس. وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحسانا، وإن كنت غير ذلك كان كفارة)[٦].

ثالثاً- من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله:

إن المجالس لا تخلو عادة من الكلام الذي لا طائل منه ولا فائدة فيه، ولا ينفع قائله في آخرته، ولا شك أن ذلك يشعر -وخاصة إن ازداد وقوعه من المدعو- بنوعٍ من الغفلة عن مقصوده الذي خلق من أجله، وهو عبادة رب العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

(١) صحيح ابن حبان ٣٥٣/٢.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٩٣، وقال محقق صحيح ابن حبان، إسناده صحيح على شرط مسلم..

(٣) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٤) أخرجه الفريابي وابن المنذر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧١١/١٣.

(٥) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٥٧٥/٣، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/١٣ .

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، كما يشعر بإقباله على الدنيا واستغراقه في أمورها وشؤونها. مما قد يشعر معه بإعراضه عن الله عز وجل وعن ذكره، فكان من فضله وكرمه سبحانه أن قضى على لسان رسوله ﷺ بكفارة المجلس التي تغفر ما وقع في المجلس من اشتغال وانهماك في أمر الدنيا وإعراض عن الآخرة. فكان هذا الذكر في آخر المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

ومن الملاحظ أن هذا الذكر كله تمجيد لله وثناء عليه، فبدأ بقوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) كأنه يعلن وقد انتهى المجلس: يا رب إني أنزهك عن كلّ نقص وأقرّ لك بكل كمال وجلال، وأحمدك حمداً كبيراً واثني عليك الثناء كله، وأقر وأشهد أنك المعبود بحق، لا إله غيرك ولا معبود سواك، فيا رب أطلب منك الغفران والعفو عن تقصيري وتضييعي وجهلي، وأتوب إليك من ذلك كله.

فكان هذا الذكر من المدعو إعلاناً عن رجوعه إلى ربه وإلى ذكره بعد أن كان غفل، وطلباً إلى الله أن يتقبله ويعفو عما بدر منه، وإقراراً بتقصيره وغفلته، فلما وقع ذلك من العبد أجابه الله سبحانه وتعالى، وتفضل عليه فغفر له وعفا عنه.

وبناء على ذلك فإن المدعو إذا وقع منه تقصير، فإن عليه أن يسارع باللجوء إلى الله عز وجلّ، ويظهر أمامه تضرعه وتخشعه وتذلله عسى الله أن يتقبل منه، وهذا ما علّمه لنا النبي ﷺ كما في هذين الحديثين.

رابعاً- من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار:

لقد سأل الرجل النبي ﷺ في حديث أبي برزة رضي الله عنه عن قوله في آخر المجلس، بعد أن لم يكن يقوله، فسأل قائلاً: "يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي ﷺ فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

ومن ذلك قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2]، شق ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأينا لا يظلم

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

نفسه؟ قال: إنه ليس الذين تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(١)] إنما هو الشرك))[(٢)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدِّين ويتفقهن فيه"[(٣)].

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضح في حديث أبي برزة رضي الله عنه: قال الرجل: يارسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس". فكانت هذه الإجابة إعلاماً للمدعوين بأن يفعلوا هذا، حتى يغفر لهم ما قد يقع في مجلسهم من أقوال فيها لغط ولهو ولغو.

ولعل أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المباشرة الفعالة التي تتكرر كثيراً جداً، فلا يكاد يخلو يوم من سؤال وجواب عنه، وذلك لكثرة ما يعرض للإنسان في حياته اليومية مما يحتاج معه إلى إزالة إشكال أو إيضاح أو نحو ذلك.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وذلك واضح في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك" وقوله صلى الله عليه وسلم: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس" فقد رغب النبي في أن يقول المدعو هذا الذكر عند قيامه من المجلس، بأن أخبره أن ذلك غفران لما قد يقع من لغط منه ولغو. قال ابن عثيمين: "قلما يجلس الإنسان مجلساً إلا ويحصل له فيه شيء من اللغط أو من اللغو أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك، كلما قام من مجلسه: ((سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ حتى يكون كفارة للمجلس))[(٤)].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢، ومسلم ١٢٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦١٠٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

الحديث رقم (٨٣٣)

٨٣٣- وعن أَبي بَرْزَة ﵁، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقولُ بأَخَرَةٍ إِذَا أرَادَ أنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنتَ أسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليكَ)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فيمَا مَضَى؟ قَالَ: ((ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ في المَجْلِسِ)) رواه أَبُو داود[1].

ورواه الحاكم أَبُو عبد الله في (المستدرك)[2] من رواية عائشة ﵂ وقال: (صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

ابو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٠٧).

غريب الألفاظ:

بأَخَرَةٍ: أي في آخر جلوسه، أو في آخر عمره[3].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يعلّم أصحابه بطريقة عملية تنقية أنفسهم، وأعمالهم أولاً بأول، وهو أحرص الناس على الكلمة الصالحة الطيبة، ولا ينطق عن الهوى، ومع ذلك، يستغفر الله، ويتوب إليه، وقوله هذا الذكر في نهاية المجلس شكراً لربه، وبياناً عملياً لأمته، وقوله (بآخرة) فيها إيجاز أي في نهاية مجلسه حتى يستوعب كل ما فيه، وقوله (إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ المَجْلِسِ) استخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحققه، والتعبير بالإرادة تبكير بالفعل، وقول الرجل للرسول ﷺ (إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً) أكّد الكلام بـ

---

(١) برقم ٤٨٥٩. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٧٣٣/٢: رجال إسناده ثقات، إلا أنه اختلف فيه على أبي العالية. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٥.

(٢) ٤٩٦/١ – ٤٩٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٧٣٠/٢: إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٦.

(٣) النهاية ٢٩، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٩.

(إن) المتصلة بكاف الخطاب، ثم اللام الداخلة على الفعل المضارع، ثم بالمصدر المؤكد للفعل تعظيماً للخبر، وعناية بمضمونه، وقوله ((مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى) أسلوب نفي يقرر أنه لم يسمعه قبل من الرسول ﷺ، أو أنه كان حديث النزول على الرسول ﷺ وقوله (ذلك كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ) تعريف المسند إليه بالإشارة التي للبعيد فيه تعظيم لهذا الدعاء، وتفخيم لشأنه يبعث على العناية به، وصياغة المسند في الصورة الاسمية الدالة على الثبوت، والدوام، وعلى صيغة المبالغة يصعِّد هذا الشعور، ويؤذن بضرورة العمل به، والمحافظة عليه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٤)

٨٣٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهؤلاءِ الدَّعَوَاتِ[1]: ((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنا، وَأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا مَا أحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

واجعله الوارث منا: أي اجعل المذكور من الأسماع والأبصار والقوة الباقي منا، بأن يبقى إلى الموت[3].

الشرح الأدبي

قول ابن عمر رضي الله عنه (قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) تُسْتَعْمَلُ قَلَّمَا لِمَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا النَّفْيُ الصِّرْفُ وَالثَّانِي إِثْبَاتُ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، فعلى الأول يكون معناها أنه لا يتركه، وعلى الثاني يشير إلى كثرة دعاء الرسول ﷺ بهذا الدعاء، كما يقرر أنه لم يواظب

---

(١) عند الترمذي زيادة: (لأصحابه).

(٢) برقم ٣٥٠٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٥٢٨/١: هذا حديثٌ صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٣) النهاية في (و ر ث)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨١/٢.

عليه بل كان يدعو بغيره مما ثبت عنه ﷺ، (حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ) حتى لبيان الغاية، والتعبير باسم الإشارة المخصص للجمع بغرض التفخيم، وقوله (لأصحابه) أنه كان يدعو، وأصحابه يؤمنون وقوله: (اللهم اقسم لنا) نداء جامع لأسباب استجابة الدعاء، يليه أمر بغرض الدعاء أي: اجعل لنا قسمة، ونصيباً (من خشيتك) أي: خوفك، والخشية الخوف، أو خوف مقترن بتعظيم (ما يحول) أي يحجب، ويمنع (بيننا وبين معاصيك)؛ لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قل الخوف جداً، واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، وقوله (ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك) أي مع شمولنا برحمتك (ومن اليقين) أي وارزقنا من اليقين بك، وبأنه لا راد لقضائك، وقدرك (ما يهون) أي يسهل (علينا مصائب الدنيا) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة، ومصلحة، واستجلاب مثوبة، وأنك لا تفعل بالعبد شيئا إلا، وفيه صلاحه (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا) الضمير للتمتع، والمعنى اجعل ثأرنا مقصوراً على من ظلمنا، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره، وتُحْمَل من (لا يرحمنا) علي ملائكة العذاب في القبر، وفي النار لئلا يلزم التكرار فتقول إنما خص البصر والسمع بالتمتع من الحواس؛ لأن الدلائل الموصلة إلى معرفته تعالى، وتوحيده إنما تحصل من طريقهما؛ لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات المنزلة، وذلك بطريق السمع أو من الآيات المقصوصة في الآفاق، والأنفس، وذلك بطريق البصر فسأل التمتع بهما حذراً من الانخراط في سلك الذين ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولما حصلت المعرفة ترتب عليها العبادة فسأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه، ثم إنه أراد أن لا ينقطع هذا الفيض الإلهي عنه لكونه رحمة العالمين فسأل بقاء ذلك ليستن بسنته بعده فقال واجعل ذلك التمتع وارثا باقيا[١].

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي حديث: (١٥٠٥).

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب دعاء الجالس في جمع لنفسه ومن معه[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا.

أولاً- من وسائل الدعوة: الدعاء:

يتضح هذا من قول الصحابي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات".

ولعل من هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك، قال: ((ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة[(٢)]، كانوا يدعون القراء. فمكث شهراً يدعو على قتلتهم))[(٣)].

وفي رواية: ((قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو علَى أُنَاسٍ قَتَلُوا أُنَاساً مِنْ الصَّحَابَةِ. يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ))[(٤)].

(والقنوت في اللغة له معان عدة، أشهرها: "الدعاء" وهو أشهرها. قال الزجاج:

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٤.

(٢) بئر معونة: هى من جهات بدر على أربع مراحل من المدينة المنورة في ديار بني سليم. وقد كانت السرية في صفر ٣ هـ. انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٧، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٣٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٣٠٢ -٦٧٧.

(٤) أخرجه مسلم ٣٠٢ - ٦٧٧.

المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وأن القانت الداعي، وحكى النووي أن القنوت يطلق على الدعاء بخير وشر، يقال: قنت له أو قنت عليه. وفي الاصطلاح: قال ابن علان: القنوت عند أهل الشرع اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام)[١].

ولعل كون الدعاء وسيلة من وسائل الدعوة يكون أوضح ما يكون في وقت الشدائد والنوازل، وأقوى ما يدل على ذلك ما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٢]. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[٣].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ؛ ليراه أصحابه بتلك الحال، فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير، وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[٤].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤/٥٧، ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء:

الدعاء هو العبادة والنبي ﷺ أعبد العابدين وأصدق الخاشعين، لذا كان ﷺ حريصاً على مناجاة ربه ودعائه. وذلك واضح من قول الراوي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات...".

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: ((مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فقالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))[1].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، قال: عن دعائي: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]،[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء، ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم، جمله من الأدعية استجابها الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ.

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي ولرفع الدرجات، ولجلب الخير ودفع الشر. ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبواباً كثيرة من الخير. وقال الغزالي: فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له، فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٤، والترمذي ٣٤٢٧، والنسائي ٥٤٨٦، وابن ماجه ٣٨٨٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢٤).

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢، وابن ماجه ٣٨٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ما جه ٣٠٨٦).

لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا:

إن من علامات صدق الإيمان التوجه إلى الله بالإنابة والخضوع والتضرع، والمدعو والداعية في أشد الحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا، لأن بصلاح أمر الدين يسلم المرء في الآخرة، كما أن صلاح أمر الدنيا معين على صلاح الدين، ولذا كان النبي ﷺ يتوجه بهذا الدعاء في ختام المجلس.

فهذا دعاء عظيم من أدعية النبي ﷺ التي كان يدعو بها في ختام مجالسه، وفيه تعليم لأمته وترغيب لها في أن تفعل في مجالسها ما كان يفعله ﷺ.

"اللهم اقسم لنا من خشيتك": أي اجعل لنا قسمة ونصيباً من خوفك ومعرفة عظمتك وجلالك ما يحول بيننا وبين معصيتك، لأن القلب إذا امتلأ من خوف الله تعالى أحجمت الأعضاء عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلَّ الخوف واستولت الغفلة على الإنسان، كان ذلك من علامات الشقاء، فإن المعاصي بريد الكفر، والغناء بريد الزنا، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله.

(ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك): لأن دخول الجنة متوقف بعد رحمة الله تعالى على الأعمال الصالحة، ولذا فقد جاءت الآيات مؤكدة على هذا المعنى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢]. فالعمل الصالح سبب مهم من أسباب دخول الجنة.

"ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا": أي ارزقنا من اليقين بك وبوعدك ووعيدك ما يجعلنا نتقبل أقدراك، ونطمئن بأن ما قضيته وقدّرته لنا هو الخير، وفيه

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢٥٩، ومصادرها.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٢.

الحكمة والمصلحة، فنسلم لك الأمر كله، ونستسلم ونخضع راضين مطمئنين.

"ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا": أي اجعلنا متمتعين ومنتفعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا، بأن نستعملها في طاعتك، والتمتع بالسمع والبصر: إبقاؤهما صحيحين إلى الموت مدة حياتنا، وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس، لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقهما، ولأن البراهين إما أن تكون عن طريق آيات الله المتلوة التي أنزلها في كتابه وتلك طريقها السماع، أو تكون آيات مبثوثة في الآفاق والأنفس وذلك عن طريق البصر، فنسأل الله التمتع بها حتى لا يكون العبد ممن ختم اللهُ على قلوبهم وسمعهم، ثم نسأل اللهُ أن يديم نعمة الصحة والعافية علينا موروثاً لمن بعدنا، أو محفوظاً لنا ليوم الحاجة، ومعنى وراثتها على هذا المعنى، لزومها عند موته لزوم الوارث له.

"واجعل ثأرنا على من ظلمنا" أي مقصوراً عليه، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره فأخذ به غير الجاني كما تفعل الجاهلية، أو اجعل إدراك ثأرنا على من ظلمنا، فندرك به ثأرنا.

"وانصرنا على من عادانا": أي مكّنا منه وانتقم لنا منه، وأظفرنا به حتى نقتص منه ونقهره.

"ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا..." والمعنى: لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام، واعتقاد سوء، وفترة في عبادة، واجعل الآخرة همنا ورغبتنا فإن حب الدنيا والانغماس بها سبب للهلاك.

"ولا تسلط علينا من لا يرحمنا" أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة والكفرة، بحيث يكونون متحكمين في رقابنا، مسلطين علينا، فنفتن في ديننا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١][٢].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٣٢/٢، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨٠/٢-٢٤٨١، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١١٢٩/٢-١١٣٠.

الحديث رقم (٨٣٥)

٨٣٥- وعن أَبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ: إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْل جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب من الأساليب الخبرية التي تحصر معنى في معنى لا ينفك عنه، وهو أسلوب القصر، يقصر القائمين من مجلسهم دون ذكر الله على صفة كونهم كالقائمين عن جيفة الحمار وقوله (مَا مِنْ قَوْمٍ) ما نافية، ومن للاستغراق و (قوم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وتنكير المجلس يفيد عموم المجالس وجملة: (لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ) تمثل موضع الخطأ، والتشبيه بجيفة الحمار تنفير من هذه المجالس التي تخلو من ذكر الله، وله عدة دلالات منها نتن الرائحة، لأنهم تركوا ذكر الله الذي هو طيب المجالس، ومنها البلادة لتفريطهم فيما فيه سعادتهم، ومنها الإشارة إلى إتيانهم ما لا ينبغي، لأن الحمار ليس مما يؤكل لحمه، وقوله) وكان لهم حسرة) فيه إيجاز بالحذف أي يوم القيامة، وتقديم الجار والمجرور (لهم) يفيد اختصاصهم بالحسرة.

---

(١) برقم ٤٨٥٥. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٣، وقال الحاكم ٤٩٢/١: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وكذا قال ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٢ وقال: إسناده صحيح.

فقه الحديث

بوّب النووي على الحديثين[١] الأولين: باب كراهة القيام من المجلس قبل أن يذكر الله تعالى[٢].

لكن الأمير الصنعاني استدلّ بالحديث الثاني على وجوب الذكر والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار أو العذاب، فقد فسرّت بهما، فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه ﷺ معًا[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس.

رابعاً: من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

أسلوب القصر أداتاه حرف النفى "ما" وبعدها أداة الاستثناء "إلا" في قوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا مثل جيفة حمار..." وفي الحديث الآخر: "ما جلس قوم مجلسًا يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة ..." وفائدة القصر هنا الحصر، فيفيد إثبات الخسارة والندامة لكل من لم يذكر الله في مجلسه.

ثانياً- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك:

---

(١) الحديث رقم (٨٣٥)، (٨٣٦).

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٢٤ .

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٩٤ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٦).

لقد أخبر النبي ﷺ أن من لم يذكروا الله في مجلسهم، قاموا عن مثل جيفة حمار (أي مثلها في النتن والقذارة. وذلك لما يخوضون من الكلام في أعراض الناس وغير ذلك "وكان": أي ذلك المجلس "لهم": وفي بعض النسخ "عليهم" "حسرة": يوم القيامة أي ندامة لازمة لهم لأجل ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى)[١]. وقال ابن القيم: (وكره رسول الله ﷺ لأهل المجلس أن يخلوا مجلسهم من ذكر الله عز وجل)[٢].

ومن ذلك القبيل قول النبي ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت))[٣]. قال ابن القيم: (صدأ القلب بأمرين: "بالغفلة والذنب" وجلاؤه بشيئين: "بالاستغفار والذكر". فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكماً في قلبه وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هى عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق، في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه، فإذا تراكم الصدأ واسود، وركبه الران، فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً)[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس:

إن العبد محتاج أشد الاحتياج إلى ذكر الله عز وجل في كل أحواله، فإن في ذلك غناه وفلاحه، وفي تركه فقره وخسرانه، ولهذا حذر النبي ﷺ من أن يخلو مجلس من ذكر الله تعالى، فإذا كان من لم يذكر الله في مجلسه أصابته الحسرة والندامة، فإن هذا حث ودفع للمدعوين أن يداوموا على ذكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِىٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِى وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[٥]. وقال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود: العظيم آبادي ص ٢٠٩٨-٢٠٩٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٦٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن القيم، مطبوع ضمن مجموعة الحديث المعروفة بـ"مجموعة الحديث النجدية". ٢٩٩/٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، وَالذَّاكِرَاتُ))[٣].

قال ابن القيم: (قضية الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله. وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله)[٤].

وذكر الله تعالى له صور وأشكال، قد يكون بتلاوة كتابه، أو بشرح آية أو حديث، أو وعظ وتذكير أو تفكر وتدبر في آياته ومخلوقاته، أو ذكر نعمه وآلائه، أو بدعائه سبحانه، وذكر رسله وأنبيائه، وما يقرب من الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل، وإذا لم يحصل شيء من ذلك، فلا أقل من أن يأتي الإنسان في آخر المجلس بالدعاء السابق في كفارة المجلس، وهو أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك". وعلى هذا فكل وقت لا يشتغل فيه الإنسان بطاعة الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فإن عاقبته الحسرة والندامة يوم القيامة، نسأل الله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٩٨.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١١٣٢.

رابعًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن الصلاة على رسول الله ﷺ:

لقد جاء في الحديث التحذير من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ؛ حيث قال ﷺ: "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" قال المباركفوري: (قوله: "ولم يصلوا على نبيهم" تخصيص بعد تعميم "إلا كان" أي ذلك المجلس "عليه ترة" أي تبعة ومعاتبة أو نقصانٌ وحسرة، من وتره حقه نقصه وهو سبب الحسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[1])[2] إن التقصير في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تفريط في واجب أوجبه الله على المسلم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3] قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا)[4] ومن مواطن الصلاة والسلام عليه ﷺ عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم، كما جاء في الحديث من الترهيب من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة...".

إن ترك الصلاة على رسول الله ﷺ من أشد ألوان الجفاء، ومظهر من مظاهر نقصان الإيمان، فلقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة عليه من شروط اكتمال الإيمان؛ فعن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[5].

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٢٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٤، ومسلم ٤٤.

فذكر ﷺ في هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة؛ فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال كمحبة الناس بعضهم بعضا، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحابٌ كلها.

لقد أمر الله تعالى بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ في مقابل إحسانه إلى الأمة وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته ﷺ من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه ﷺ، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ.

قالوا: ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلاً، فقال ﷺ: ((البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ))[1]. لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يذكر عنده، ولا يثني عليه، ولا يبالغ في مدحه وتمجيده، ويبدئ ذلك ويعيده، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه، عده الناس بخيلاً لئيمًا كفورًا، فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض، الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا من شر الدنيا والآخرة، الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه، فضلاً عن أن تقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثني عليه، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ، فلا أقل من أن يصلي عليه مرة إذا ذكر اسمه ﷺ[2].

خامسًا- من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله يعود على الذاكر ومجتمعه بأجل الفوائد وأعظمها، لذا كان من أهداف الدعوة حث المدعوين على ملازمة ذكر الله، وعدم الغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى، كما هو واضح من الحديث، قال ابن القيم عن فوائد الذكر: وفي الذكر

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم ص ٥٤٩، ٥٥٠.

أكثر من مائة فائدة:

(إحداها): أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

(الثانية): أنه يرضي الرحمن عز وجل.

(الثالثة): أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(الرابعة): أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(الخامسة): أنه يقوي القلب والبدن.

(السادسة): أنه ينور الوجه والقلب.

(السابعة): أنه يجلب الرزق.

(الثامنة): أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(الخامسة عشرة): أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى فضلاً وشرفاً.

(الخامسة والعشرون): أنه سبب في اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لابد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة، إلا بذكر الله تعالى. والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى، ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...". إلى آخر الفوائد)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/ ٣٠٠ -٣٠٣.

الحديث رقم (٨٣٦)

٨٣٦- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا الله تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ (فِيه)[1]، إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ؛ فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الحديث السابق، وهو الترغيب في الذكر، وبيان فضله، وقد جاء في أسلوبه نفسه، وهو أسلوب قصر لمجلس هؤلاء على كونه حسرة، وندامة ويزيد عن سابقه قوله (وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ) وهي من ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على فضله، لأن الصلاة على النبي ﷺ لون من ألوان ذكر الله ولما كان فيها مع ذكر الله صلاة على رسوله كان لها مزيد فضل عن غيرها، ولذلك أضاف لفظ نبي للضمير العائد عليهم، وفيها تشريف من ناحية، ومن أخرى تنبيه لهم على تقصيرهم في الصلاة عليه وهو نبيهم، وقوله: (إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً) فيه إيجاز بحذف الظرف أي يوم القيامة، وتقديم الجار، والمجرور (عليهم) يفيد الاختصاص، وقوله (فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) أسلوب شرط يعلّق تعذيبهم، أو المغفرة لهم على مشيئة الله، وقد بني على الإيجاز حيث حذف مفعول المشيئة، وفاعله، وتقديره إن شاء الله تعذيبهم عذبهم، وإن شاء الله المغفرة لهم غفر لهم، والحديث تنبيه للغافلين، وترغيب للذاكرين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) (فيه) لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/٥٥٠: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤١.

(٣) رياض الصالحين ٣٢٨.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٧)

٨٣٧- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لاَ يَذْكُرُ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أَبُو داود[1].

وَقَدْ سبق قريباً، وشَرَحْنَا (التِّرَة) فِيهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[2].

المضامين الأدبية[3]

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم ٤٨٥٦، وتقدم برقم ٨١٩. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥٣، وقال الترمذي ٤٦١/٥: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ٥٥٠/١: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٨٠٥/١.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

(٤) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

المسلم لا ينسى ربه، على أي حال كان، والمجالس قد يقع فيها من اللغو ما لا يقع في غيرها ولهذا سن الرسول ﷺ سننًا تتعلق بآدابالمجلس قبل الاجتماع وأثناءه وبعده، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تربية الأولاد على التأدب بآداب المجالس:

لقد وردت في أحاديث الباب عدة آداب للمجالس يجب أن يعلمها الآباء أبناءهم ويتابعونهم عند تنفيذها منها:

أ- الجلوس حيث ينتهي بالإنسان المجلس: «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النبيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي»، فلا يتأتى أن يقيم أحداً من مكانه ولا يتخطى الرقاب فيؤذي الجالسين.

ب- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما: كما في قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بِإِذْنِهِمَا». فإن الإقدام على ذلك وإقحام الإنسان نفسه بين الآخرين من سيء الآداب وأرذل الأخلاق.

ج- لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذياً للناس: فإن فِعْل ذلك موجب للعن، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن ذلك جالب للمقت والبعد عن الرحمة[1].

د- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به، كما في قوله ﷺ: «إذا قام أحدكم من مجلسه فرجع إليه، فهو أحق به»، وذلك إذ لم يطل بُعْدُ الإنسان من مجلسه بحيث يظن عدم عودته إليه، ومثل هذا من التوجيهات لو راعيناه لزالت إشكالات كثيرة ومصادمات متعددة.

هـ- ان يردد دعاء كفارة المجلس: والذي ورد في حديث: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...» فإن هذا الدعاء يتكفل بإذن الله

---

(١) انظر: كيف نربي أولادنا إسلامياً، محيي الدين عبدالحميد، مؤسسة بدران، ص١٩٩، ٢٠٠، والتربية عل منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢١٥-٢١٧، وشرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٢-٤٧٦.

تعالى بإزالة آثار الخطأ وتحقيق التنظيف التام الكامل، فقد سماه النبي ﷺ وجعله للمجلس كفارة.

"إن مراعاة حقوق الآخرين في المجتمع والتزام الآداب الرفيعة في التعامل معهم أمر واجب متلازم كل التلازم مع الأصول التربوية والنفسية النبيلة، بل يمكننا القول إن مراعاة الحقوق والآداب والذوقيات مظهر من مظاهر الأصول التربوية والنفسية النبيلة"[1].

ثانياً- العناية بالنظافة وحسن الهيئة والمظهر:

لقد اعتنى الإسلام بالنظافة وأرشد إليها وأمر بالتطهر والتطيب وحسن الهيئة والهندام حتى يكون المسلم شامةً بين الناس، يُشار إليه بالبنان، "ومن عناية الإسلام بالمظهر أن أمر بالنظافة لأنها الأساس لكل زينة حسنة ومظهر جميل لائق خاصَّة في مواطن الاجتماع وفي أوقات الجمعة والعيدين"[2].

ومن دلائل ذلك ما جاء في أحد أحاديث الباب من حثٍّ على الاغتسال والتطهر والتطيب ليوم الجمعة فقال ﷺ: «لا يَغتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمعةِ ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِن طُهرٍ ويَدَّهِنُ من دُهنهِ ...»، وهذا الاغتسال يوم الجمعة وإن لم يكن واجباً وجوب الفرائض التي لا رخصة في تركها فإن السنة تحث عليه حثاً شديداً وما ذلك إلا حرصاً من الإسلام على النظافة وسلامة الأبدان من الأمراض وحفظ الشعور والذوق العام حتى لا يؤذي الناس بعضهم بعضا[3].

لذا كان من المهام المنوطة بالمربي والمعلم تعويد المتربين على الطهارة والنظافة والتجمل، ولا يقتصر الأمر عند مجرد التنظيف والتطهر بل يمتد إلى تحصيل أسباب الألفة وزيادتها بنشر الروائح الطيبة، ومظاهر الجمال في المجتمع الإسلامي.

إن من شدة اهتمام الإسلام بالنظافة أن جعلها شرط صحة لكثير من العبادات

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٥٧.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٦٤/٢.

(٣) انظر: الأساس في أسس الرعاية، محمد الأمين الشنقيطي ص٣٢.

كالصلاة والطواف ونحوها، فالنظافة ركن أساس من الأركان التي دعا إليها الإسلام[(١)].

ثالثاً- الإكثار من ذكر الله تعالى أثناء التعليم وبعده:

من المهام التربوية الحسنة تعوُّد المربين المتربين على ذكر الله تعالى في مجالسهم واستذكارهم وتحصيلهم للعلوم والمعارف، وقد جاءت الوصية في أحاديث الباب بألا تخلو المجالس من ذكر الله تعالى ودعائه، جاء ذلك في قوله ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعداً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تعالى فيهِ كانَتْ عليْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ ...»، كما كان ﷺ مواظباً على كثير من الأذكار والأدعية في مجالسه، حفظ منها الصحابة الكثير ونقلوه إلينا، ومنها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاءِ الدعوات: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعصيتكَ...».

"فلنحرص على أن نكثر من ذكر الله تعالى أثناء تدريسنا وجلوسنا في الفصول وقاعات المحاضرات لنحظى بالثواب والفضل العميم من الله تبارك وتعالى، ولنبدأ كل درس بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ مع الإكثار من الاستغفار والأذكار، كما أن على المعلم كلما توقف عن شرح مسألة للاستراحة، أن يكثر من الأذكار ليكون لسانه رطباً من ذكر الله تعالى، وليغرس في نفوس الطلاب حب الأذكار وتكرارها على ألسنتهم كل وقت وعلى كل حال.

وإذا أراد المعلم القيام من مجلسه عند نهاية الدرس فليحرص على ذكر كفارة المجلس[(٢)]، والذي جاء في أحاديث الباب من حديث أبي برزة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...».

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٣٧.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢، ٧٣.

رابعاً- غرس خلق التواضع والابتعاد عن مظاهر التكبر:

إن من القيم التربوية التي ينبغي على المربين غرسها في نفوس المتربين خلق التواضع، والابتعاد عن مظاهر التعالي والتكبر وحب الظهور ونحوها والتي جاء النهي عن بعضها في أحاديث الباب كالنهي عن "إرهاق الناس بإزالتهم عن مجالسهم والتمتع بالراحة دونهم، كما في قوله ﷺ: «لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»، وكذلك النهي عن حب الظهور والتميز والانفراد بالمجالس كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن التظاهر في الإسلام ممنوع خاصة في المجالس العامة كمجالس العلم وغيرها لما فيه من إيذاء الجالسين والاعتداء على حقوقهم، وتعُّود الإساءة إلى الناس وعدم التحكم في السلوك"[1].

فمن الأخلاق النبيلة التي ينبغي أن ينشأ عليها الناشئة التواضع وكراهة الظهور إذ أن من "علامة صدق العبد فيما يعمله لله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكراهة اطلاع الناس عليه، كما أن كراهة الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والسمعة والتصنع للخلق"[2].

خامساً- الاهتمام بالمدارس ودور التربية:

إن من شروط كمال العملية التعليمية والتربوية اختيار الأماكن وتهيئتها التهيئة المناسبة ومراعاة الجوانب الصحية والنفسية، وما شاكل ذلك، ومن ذلك ما جاء في طيات أحاديث الباب من ملائمة المدارس وحلقات التعليم من حيث مساحتها واتساعها لعدد الدارسين بها.

فكلما اتسعت المساحة وقضي على ظاهرة التكدس عاد ذلك بالأثر الإيجابي على العملية التعليمية والتربوية وعلى المعلمين والمتعلمين على حد سواء فإن خير المجالس كما قال ﷺ أوسعها.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٤.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٣١٩/١.

لذا ينبغي علينا الاهتمام "بالمدارس والمؤسسات التربوية، حيث إن نجاح وظيفة المدرسة يتوقف إلى حد كبير على عدة عوامل أساسية منها توفير بيئة مدرسية تشجع على التعليم والابتكار والإبداع"[(١)].

سادساً- التطبيق التربوي:

إن عملية التعليم والتربية لا تقف عند مجرد التعليم، ولا تقتصر على مجرد التلقين فحسب، بل تتعدى ذلك وتصل إلى مرحلة التطبيق التربوي والممارسة العملية من المربي والمتربي.

وذلك ما نلحظه في أحاديث الباب فرسول الله ﷺ لم يقتصر على مجرد الإرشاد إلى ذكر الله تعالى في المجالس، وإنما كان يتمثل بتلك التعاليم ويكثر من ذكر الله تعالى، ومن ذلك حرصه ﷺ على إنهاء المجالس بدعاء كفارة المجالس " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" كما كان يكثر من ختم المجالس بالأدعية، والتي منها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاءِ الدعواتِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ به بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعصيتكَ ...».

"إن تعلم العلم لا يكفي ليستقيم الإنسان، فلابد للمربي من العمل به حتى يكون قدوة صالحة، جاعلاً ظاهره موافقاً لباطنه، متحلياً بالأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة، وأن يجعل سلوكه وفق ما تعلمه ويعلمه لتلاميذه حتى يكون قدوة حسنة للمتربين، وأن يحسن النية في طلب العلم، وفي العمل به وأن يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى"[(٢)].

سابعًا- الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستفيد منها، من ذلك:

---

(١) انظر: علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة، د. هشام محمد مخيمر، ط/١، دار اشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٢.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٦٣.

أ-الإلقاء: كحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى".

وأسلوب الإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات من قبل المعلم، ويناسب هذا الأسلوب المتعلمين الكبار، وذلك لتميزهم بالنضج العقلي.

ب-الترغيب والترهيب: أما الترغيب فكقوله ﷺ: "من جلس في مجلسٍ فكثر لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك".

وأما الترهيب فقوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة".

وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي تتميز بقوة بقاء أثرها التربوي؛ وذلك لما فيه من تحذير للمتعلمين من التقصير، ولما فيه من ترغيب المتعلمين في فعل الخيرات.

ج-أسلوب المناقشة والحوار: كما في حديث أبي برزة رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وأستغفرك وأتوب إليك" فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

وأسلوب المناقشة والحوار يتميز فيفعل دور المتعلم في العملية التربوية ويدفع الملل عنه ويستثير دافعيته للتعلم.



١٣٠- باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[الروم: ٢٣].

الحديث رقم (٨٣٨)

٨٣٨- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلاَّ المُبَشِّرَاتِ)) قالوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: ((الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الرؤيا، وما يتعلق بها يبدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات بلفظ سمعت، والتعبير بالسماع فيه تقرير للخبر، وتأكيد على عدم تطرق الشك إليه، ثم إن إضافة الرسول لله فيها تشريف، وتعظيم يضمن تعظيم الإخبار عنه، وقول الرسول ﷺ (« لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلا الْمُبَشِّرَاتُ) أسلوب قصر ينفي بقاء شيء من النبوة عن كل شيء، ويثبته للمبشرات، وقولهم، وما المبشرات؟ استفهام على حقيقته، فجاءت إجابة الرسول ﷺ مبنية على حذف المسند إليه (الرؤيا الصالحة) أي هي الرؤيا الصالحة، ووصف الرؤيا بالصالحة تقييد بالوصف يخرج ما كان من تحزين الشيطان، وما كان من حديث النفس بما تراه في اليقظة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب.

---

(١) برقم ٦٩٩٠.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، فهذا إخبار منه ﷺ أن الرؤيا الصالحة - وهي تفسير المبشرات- هي التي بقيت من النبوة.

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن بدء الوحي للنبي ﷺ: ((أَوَّلُ مابُدِىءَ به رسولُ اللهِ ﷺ منَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصالحةُ في النَّومِ، فكانَ لايَرى رُؤيا إلا جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ))[1].

قال ابن حجر: (وبدئ بذلك ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة، ثم مهد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر)[2].

قال ابن أبي جمرة عن الجمع بين الرؤيا الصالحة والنبوة: (اعلم أن النسبة بينهما وطريق الجمع من وجهين: الواحد: من طريق أن النبوة حق لاشك فيها، فهذه كذلك حق لا شك فيها. وقد نبّه ﷺ على ذلك في الحديث بعد هذا بقوله: ((وما كان من النبوة لا يَكْذِب))[3] والوجه الآخر هو، أنه لما كانت بداية نبوته عليه السلام قبل أن يأتيه الوحي "بالرؤيا الصالحة" كما هو مذكور أول الكتاب "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" فما كان بدؤها أولاً هو الذي تبقى منها آخراً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[4])[5].

وقال ابن أبي جمرة كذلك عن الحكمة في استخدام النبي ﷺ لفظ النبوة ولم يستخدم لفظ الرسالة، قال: (اعلم أن هذا من أكبر الدلائل على ما خصه الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري، ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١/١.

(٣) هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤياالمؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٥) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٣٥/٤.

به من حسن البلاغة، وسرعة الإدراك لغوامض الفوائد على البديهة، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام منهم من هو مرسل للغير، ومنهم من تنبأ وليس بمرسل، فلما كانت المرائي، منها ما يكون فيما يخص المرء في نفسه، ومنها ما يراها لغيره كما ذكرنا عنه ﷺ آنفاً بقوله ﷺ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ))[1] فلهذه النسبة ذكر ﷺ النبوة ولم يذكر الرسالة، وإنما هي حق مثل ما هي النبوة، وبقي فيها احتمال، هل تخص أو تعم، كما أن النبوة قد يكون معها الإرسال، فتكون عامة، أو لا يكون معها إرسال فتكون خاصة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة:

هذا واضح من تفسير المبشرات بالرؤيا الصالحة، قال الطيبي: (معنى الصالحة الحسنة ويحتمل أن تجري على ظاهرها أو أن تجري على الصادقة، والمراد بها صحتها، وتفسير رسول الله ﷺ المبشرات على الأول ظاهر، لأن البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، واستعماله في الخير أكثر، وعلى الثاني مؤول، إما على التغليب، أو يحمل على أصل اللغة)[3].

وقال أبو العباس القرطبي: (إن الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة، إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي ﷺ، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب)[4]. وقد سأل أبو الدرداء رضي الله عنه النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[5]، فقال النبي ﷺ: ((مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) بهجة النفوس ٢/٢٣٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٦٤.

الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ. فهي بُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبُشْرَاهُ فِي الآخِرَةِ))[١]. وفي صحيح مسلم: ((وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً ...، وَالرُّؤْيَا ثَلاثَة: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ. وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ))[٢].

وقد قال النبي ﷺ أيضاً: ((إذا رأى أحدُكم رُؤيا يُحبُّها فإنما هيَ من الله، فليحمدِ الله عليها وليحدِّثْ بها، وإذا رأى غيرَ ذلك مما يَكرَهُ فإنما هيَ منَ الشيطان فليستَعذْ من شرِّها ولا يَذكرْها لأحد فإنها لا تَضرُّه))[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب:

أما القصر فقوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات". وأما السؤال: فقول الصحابة رضي الله عنهم، سائلين الرسول ﷺ: وما المبشرات؟، وأما الجواب: فقوله ﷺ "الرؤيا الصالحة"، فأفاد كل هذا أن الرؤيا الصالحة من النبوة، فكان من حق من وقعت له الفرح والاستبشار. قال ابن أبي جمرة عن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معنى المبشرات، قال: (فيه دليل على جواز مراجعة العالم إذا لم يفهم كلامه، يؤخذ ذلك من قولهم: "وما المبشرات؟"، ويترتب على هذا من الفقه التثبت في العلوم الشرعية، حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حدٍ سواء بالأدب؛ لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه دَعيٌّ زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٧٥٢٠/٤٥، والترمذي، ٢٢٧٣، والطبري في التفسير ٢١٦/١٢، واللفظ له، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٦٨١/٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٤).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم واللفظ له ٢٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١.

(٤) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٣٦/٤.

الحديث رقم (٨٣٩)

٨٣٩- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا المُؤْمِنِ تَكْذِبُ[1]، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وفي رواية[3]: ((أصْدَقُكُمْ رُؤيَا، أصْدَقُكُمْ حَدِيثاً)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ورد معنى الحديث في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد غرضه إفادة معناه، وهو الإخبار بأن رؤيا المؤمن في آخر الزمان يغلب عليها الصدق، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط المؤذن بربط صدق الرؤيا باقتراب الزمان، واقتراب الزمان أي اقتراب قيام الساعة، أو المقصود تقدم الإنسان في السن، واقتراب أجله؛ لأن أعمال الإنسان في هذه المرحلة يغلب عليها الصلاح.

ونسبة الرؤيا للمؤمن بيان، وتخصيص، وقوله (من النبوة) إشارة إلى أن في قلب المؤمن شعاع من النبوة هو شعاع الإيمان الذي جعل باطنه، وظاهره متفقين، فإذا رأى رؤية جاءت جزءاً من هذا الصدق الذي يحياه ظاهراً، وباطناً، ولذلك جاء قوله ﷺ (وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لا يَكْذِبُ) تأكيداً على صدق هذه الرؤيا تبعاً لصدق صاحبها، وإيمانه، وقد أكد ذلك بأسلوب القصر، والجملة التعليلية، المؤكدة ب (إن) التي تقرر نفي الكذب عن كل ما كان من النبوة، والذي قصد به هنا رؤيا المؤمن.

وإذا نظرنا في ألفاظ الحديث نلاحظ أن ألفاظ (النبوة، والمؤمن، والرؤيا) تكرر كل منها مرتين، وهي كلمات موحية بطبيعتها، والصلة بينها، وثيقة فالنبوة وحي الله

---

(١) لفظ البخاري: (لم تكد تكذب رؤيا المؤمن)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣/٢٦ رقم ٢٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٧٠١٧، ومسلم ٦/٢٢٦٣.

(٣) أخرجها مسلم في الرواية التي تقدمت برقم ٦/٢٢٦٣.

الذي انقطع بموت النبي ﷺ والرؤيا الصالحة هي شعاع النور المنبعث من مشكاة النبوة إلى قلوب المؤمنين في كل زمان، ومكان تربطهم بربهم إيماناً، وعملاً بفرائضه، وتربطهم بنبيهم محبة، ومتابعة لسنته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب"، قال ابن حجر: (قال الخطابي في المعالم[1]: "في قوله: "إذا اقترب الزمان ..." قولان: أحدهما: أن يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار، وهو وقت استوائهما أيام الربيع، وذلك وقت اعتدال الطبائع الأربع غالباً، وكذلك هو في الحديث. والمعبرون يقولون: أصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل والنهار، وإدراك الثمار.

والقول الآخر: إن اقتراب الزمان، انتهاء مدته إذا دنا قيام الساعة، قلت [القائل ابن حجر]: يبعد الأول التقييدُ بالمؤمن، فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وقد جزم ابن بطال بأن الأول هو الصواب[2]، واستند إلى ما أخرجه الترمذي من طريق معمر عن أيوب في هذا الحديث بلفظ "في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا"[3] قال: فعلى هذا فالمعنى إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى

---

(١) معالم السنن ٢٩٧/٧.

(٢) هكذا في المطبوع من فتح الباري الذي بين أيدينا ونظنه سبق قلم، وأن صحة العبارة: وقد جزم ابن بطال بأن القول الآخر هو الصواب، ويدل على هذا ما بعده من كلام.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٢٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٦٧).

مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تُذَكَّرُ بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء، وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة، التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة:

لقد أخبر النبي ﷺ بأن "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[٢].

قال البغوي: (قوله: "جزء من النبوة" أراد تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده، وإنما كانت جزءاً من النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحيٌ، وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[٣].

وقيل: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باقٍ، والنبوة غير باقية، أو أراد به أنه كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ))[٤] أي: هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا فيها بهم، لا أنها حقيقة نبوة، لأن النبوة لا تتجزأ، ولا نبوة بعد الرسول ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: ((ذهبتِ النبوةُ وبقيت المبشراتُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٣/١٢. وقد ذكر ابن حجر أقوالاً أخرى ترجح أن المراد بتقارب الزمان قرب قيام الساعة. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٠-١١.

(٢) وقد وردت روايات أخرى بأعداد مختلفة. قال النووي: (فحصل ثلاث روايات، المشهور: "ستة وأربعين" والثانية "خمسة وأربعين"، والثالثة "سبعين جزءاً". وفي غير مسلم من رواية ابن عباس: "من أربعين جزءاً" وفي رواية "من تسعة وأربعين" وفي رواية العباس "من خمسين" وفي رواية ابن عمر "ستة وعشرين" ومن رواية عبادة "من أربعة وأربعين". شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/١٥/٨.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٤) قال محققا شرح السنة: أخرجه أبو داود ٤٧٧٦، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين، وباقي رجاله ثقات وله شاهد بنحوه عند الترمذي ٢٠١٠ بسند قوي من حديث عبدالله سرجس المزني، وحسنه الترمذي.

(٥) قال محققا شرح السنة: أخرجه البخاري ٦٩٩٠، ومسلم ٤٧٩، والطبراني ٣٠٥١، وأحمد ٢٧١٤١/٤٥ وابن ماجه ٣٨٩٦ وابن خزيمة وابن حبان ٦٠٤٧.

وقال بعض أهل العلم في قوله: "جزء من ستة وأربعين" إن مدة وحي الرسول ﷺ من حين بُدئ إلى أن فارق الدنيا، كان ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت ستة أشهر منها في أول الأمر، يوحى إليه في النوم، وهو نصف سنة، فكانت مدة وحيه في النوم جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من جملة أيام الوحي")[1].

لكن التوربشتي تعقب هذا القول الأخير فقال: (أما حصر سني الوحي في ثلاث وعشرين، فإنه مما ورد به الروايات المعتد بها مع اختلاف في ذلك. وأما كون زمان الرؤيا فيها ستة أشهر، فشيء قدره هذا القائل في نفسه، لم يساعده فيه النقل. وأرى الذاهبين إلى التأويلات التي ذكرناها قد هالهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة. وقد قال ﷺ: "ذهبت النبوة" ولا حرج على أحد في الأخذ بظاهر هذا القول؛ فإن جزءاً من النبوة لا يكون نبوة كما أن جزءاً من الصلاة على الانفراد لا يكون صلاة. وكذلك عمل من أعمال الحجيج وشعبة من شعب الإيمان.

وأما وجه تحديد الأجزاء بستة وأربعين: فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه ويتلقى بالتسليم؛ فإن ذلك من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض له بالقياس، وذلك مثل ما قال في حديث عبدالله بن سرجس في السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد: أنها جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة[2]. وقلما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء ولئن قيض له الإصابة في بعضها، لما يشهد له الأحاديث المستخرج منها لم يسلم له ذلك في البقية. انتهى كلامه)[3].

لكن أبا العباس القرطبي ذكر أنه ظهر له وجه في تفسير أن الرؤيا جزء من النبوة، فقال بعد أن ذكر أربعة أوجهٍ فقال: (وقد ظهر لي وجه خامس، وأنا أستخير الله في ذكره، وهو: أن النبوة معناها: أن يطلع الله من يشاء من خلقه على ما يشاء من

---

(١) شرح السنة ١٢/٢٠٢-٢٠٤ وقد نقله عن الخطابي في معالم السنن ٧/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) كذا قال ولفظ الحديث "اربعة وعشرين جزءاً من النبوة" وهو عند الترمذي ٢٠١٠ وقد تقدم تخريجه قريباً.

(٣) نقله الطيبي في شرحه على المشكاة ٧/٣٤٠.

أحكامه ووحيه، إما بالمشافهة، وإما بواسطة ملك، أو بإلقاء في القلب، لكن هذا المعنى المسمى بالنبوة، لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف، والعلوم، والفضائل، والآداب، ونزّهه عن نقائص ذلك. ولذلك قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(١)، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢)، وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(٣)، وقال: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾(٤) وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾(٥).

فقد حصل من هذا: أن النبوة لم يخص الله بها إلا أكمل خلقه، وأبعدهم عن النقائص. ثم: إنه لما شرفهم بالنبوة، حصلت لهم بذلك على جميع نوعهم الخصوصية، فلما كانت النبوة لايخص الله بها إلا من حصلت له خصال الكمال، أطلق على تلك الخصال: نبوة، كما قال ﷺ: "التؤدة والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من النبوة". أي: من خصال الأنبياء، لكن الأنبياء في هذه الخصال متفاضلون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾(٦)، وقال: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾(٧)، فتفاضلهم بحسب بما وُهب لكل واحدٍ منهم من تلك الصفات، وشرف به من تلك الحالات، وكلٌ منهم الصدق أعظم صفته في نومه ويقظته، وكانوا تنامُ أعينهم، ولا تنامُ قلوبهم فنائمهم يقظان، ووحيُهم في النوم واليقظة سيَّان؛ فمن ناسبهم في الصدق حصل من رؤياه على الحق؛ غير أنه لما كان الأنبياء في مقاماتهم

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٥٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

وأحوالهم متفاضلين، وكان كذلك أتباعهم من الصادقين؛ وكان أقلُّ خصال كمال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستاً وعشرين جزءاً، وأكثر ما يكون من ذلك سبعين، وبين العددين مراتب مختلفةٌ بحسب ما اختلفت ألفاظ تلك الأحاديث.

وعلى هذا: فمن كان مثل الأنبياء في صلاحه وصدقه على رتبة تناسب كمال أحدٍ من الأنبياء؛ كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبي، وكمالاتهم متفاضلة كما قررناه، فنسبة أجزاء منامات الصادقين متفاوتة على ما فصلناه. وبهذا الذي أظهر الله لنا يرتفعُ الاضطراب. والله الموفق للصواب)[١].

وقال ابن حجر: (إن الرؤيا الصالحة إنما كانت جزءاً من أجزاء النبوة، لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان، فإنها ليست من أجزاء النبوة)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها:

لقد أخبر النبي ﷺ أن "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً" قال النووي: (ظاهره أنه على إطلاقه. وحكى القاضي عياض[٣] عن بعض العلماء: أن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم، وموت العلماء والصالحين، ومن يستضاء بقوله وعلمه، فجعله الله تعالى جابراً وعوضاً ومنبهاً لهم، والأول أظهر، لأن غير الصادق في حديثه، يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايته إياها)[٤].

وقال أبو العباس القرطبي: (إنما كان ذلك، لأن من كثر صدقه تنور قلبه، وقوي إدراكه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة والاستقامة، وأيضاً فإن من كان غالب حاله الصدق في يقظته، استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقاً. وعكس ذلك الكاذب والمخلط، يفسد قلبه ويُظلم، فلايرى إلا تخليطاً وأضغاثاً[٥]. هذا غالب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٧/٦-١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٠/١٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢١١/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/٥/٨.

(٥) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٤٠.

حال كل واحد من الفريقين، وقد يندر فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، لكن ذلك قليل، والأصل ما ذكرناه)[1]. وقال ابن حجر: (وهذا يؤيد ما تقدم أن الرؤيا لا تكون إلا من أجزاء النبوة إن صدرت من مسلم صادق صالح)[2].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٢/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٢٣.

الحديث رقم (٨٤٠)

٨٤٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَآني في المَنَامِ فَسَيَرَاني في اليَقَظَةِ - أَوْ كَأنَّما[1] رَآني في اليَقَظَةِ- لاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يتمثل: لا يتشبه[3].

الشرح الأدبي

الحديث يداعب خيال المؤمنين، ويهدهد خواطرهم بأحب بشارة إلى قلوبهم وهي رؤيته ﷺ في المنام على حقيقة صورته الجليلة لا يتمثل في صورته شيطان، وهو أمل يسعى إليه كل مؤمن، وقد جاء الخبر الحبيب إلى النفوس في صورة خبرية وثَّقَ فيها أسلوب الشرط الصلة بين رؤية الرسول ﷺ في المنام، وبين رؤية الرسول ﷺ في اليقظة، وقوله (رآني) ماض دال على التحقق، وقوله (فسيراني) الفاء في جواب الشرط، والسين بوابة إلى المستقبل، والفعل المضارع يصوِّر الحدث ويلوِّح للسامع بمشهد يتمناه، وهو شخص الرسول ﷺ، وقول الراوي: (أو كأنما رآني في اليقظة) شك منه في أي العبارتين قال، وهذا دليل على شدة حذرهم في النقل عن الرسول ﷺ إلا اليقين، فإن شك أحدهم في لفظ نقل شكه حتى يتبرأ من شبهة الكذب على رسول الله، ومعنى العبارة أن رؤيته في المنام تساوي رؤيته في الحقيقة، ولذلك أتبعها بجملة ´)لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي) توكيداً لمضمون الجملة السابقة، يضمن سلامة الرؤيا من عبث

---

(١) لفظ مسلم: (لكأنما).

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٩٣، ومسلم واللفظ له ٢٦٦٦/١١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ث ل).

الشيطان، ثم إنها خصيصة لرسول الله ﷺ كرامة له، وهدية لمن تابعه ممن جاء بعده من المؤمنين إلى يوم القيامة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دلالة رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام:

رؤيا النبي ﷺ في المنام من المبشرات والمفرحات، لذا كان على الداعية أن يهتم بها ويوضح ذلك للمدعوين. جاء في الموسوعة الفقهية: "ذكر البخاري في كتاب التعبير من صحيحه باباً بعنوان: (من رأى النبي ﷺ في المنام)، وذكر خمسة أحاديث منها ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ. ولاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي))[1]، وهذه الأحاديث على جواز رؤيته ﷺ في المنام.

وقد ذكر ابن حجر في الفتح[2]، والنووي في شرح مسلم[3] أقوالاً مختلفة في معنى قوله ﷺ: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة)، والصحيح منها أن مقصوده أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا أضغاثاً[4]، بل هي حق في نفسها، ولو رؤي على غير صورته التي كان عليها في حياته ﷺ فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو

---

(١) كتاب: التعبير في صحيح البخاري ٩١، والباب: ١٠، والأحاديث من ٦٩٩٣ - ٦٩٩٧، وهذا الحديث برقم ٦٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٠٠ - ٤٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٤) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [سورة يوسف، آية: ٤٤].

من قبل الله[١].

وقال[٢]: وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، يؤيده قوله: ((فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ))[٣]، أي: رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به، فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها، ولا يهمل أمرها، لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه"[٤].

قال القرافي: "قال العلماء: إنما تصح رؤية النبي ﷺ لأحد رجلين:

أحدهما: صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه السلام.

وثانيهما: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب، حتى انطبعت في نفسه صفته عليه السلام، ومثاله المعصوم، كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله عليه السلام، كما يجزم به من رآه، فينتفي عنه اللبس والشك. وأما غير هذين فلا يحصل الجزم، بل يجوز أن يكون رأى النبي عليه السلام بمثاله، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يفيد قولُ الذي يراه: هذا رسول الله. ولا قول من يحضر معه: هذا رسول الله، لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره، فلا يحصل الجزم.

---

(١) وقال الطيبي: المعنى: من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر، وليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله، وهي من المبشرات لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب إلى الباطل الذي هو الشيطان، فإن الشيطان لم يتمثل بي، وكيف لا يكون مبشرات؟ وهو البشير النذير السراج المنير وهو الرحمة المهداة إلى كافة الخلق، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٤٢/٨ - ٣٤٣.

(٢) هذا قول القرطبي كما نقل ذلك عنه الحافظ في الفتح ٤٠١/١٢، وهو في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٣/٧ - ٢٤، وذكره قبله المازري في المعلم ٢٩٥/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩/٢٢ - ١٠.

إذا تقرر هذا وأنه لا بدّ من رؤية مثاله المخصوص، فيشكل بما تقرر في كتب التعبير، أن الرائي يراه شيخاً وشاباً وأسود وذاهب العينين وذاهب اليدين. وعلى أنواع شتى من المثل التي ليست مثاله عليه السلام.

فالجواب عن هذا: أن هذه الصفات - صفات الرائين وأحوالهم - تظهر فيه عليه السلام وهو كالمرآة لهم"[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دلالة رؤية النبي ﷺ في المنام:

يشتاق كل مسلم أن يرى النبي ﷺ في منامه، لما في ذلك من أثر كبير على نفسه، لذا بيّن النبي ﷺ هذا الأمر فقال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي)، قال ابن حجر: "قال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره -لكونه حينئذٍ غائباً عنه- فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، قاله القزاز. وقال المازري[2]: إن كان المحفوظ [أي من الرواية] (كأنما رآني في اليقظة) فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ (فسيراني في اليقظة) احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه، فإنه إذا رآه في المنام، جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه ﷺ.

وقال القاضي[3]: وقيل معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها. وقيل: معنى الرؤيا في اليقظة أنه سيراه في الآخرة. وتعقب بأنه في الآخرة يراه جميع أمته، من رآه في المنام ومن لم يره، يعني: فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية. وأجاب القاضي عياض باحتمال أن تكون الرؤيا في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه، والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات. قال: ولا يبعدُ أن يعاقب الله بعض المذنبين في

---

(١) الفروق: القرافي: أحمد بن إدريس المالكي ٦٨٤هـ تحقيق: عمر حسن القيام ٣٦٩/٤.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٦/٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٢٠/٦.

القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ مدة"[١].

وقال ابن تيمية: (إن هذا في رؤية المنام، لأن الرؤية في المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان، فمنعه الله أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا. فمن ظن أن المرئى هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان)[٢].

وقال القرطبي: (ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته، وهو دينه وشريعته، فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان، وكذلك الحكم إذا رأى على خلاف الصورة التي كان عليها مما يجوز عليه)[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ في هذا الحديث، فقد أخبر أنه من رآه في المنام فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل به، قال ابن عثيمين: (وإذا ضرب للإنسان مثل بأبيه أو أمه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك، فقد يكون هذا هو الواقع، وقد يكون من الشيطان، يتمثل الشيطان للنفس بصورة هذا الإنسان ويراه النائم. إلا النبي ﷺ، فإن الإنسان إذا رأى النبي ﷺ على هذا الوصف المعروف، فإنه قد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ أبداً ولا يجرؤ.

فإذا رأى الإنسان شخصاً ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ فليبحث عن أوصاف هذا الذي رأى، هل تطابق أوصاف النبي ﷺ؟ فإن طابقت فهو هو، وإن لم تطابق فليس النبي ﷺ، وإنما هذه أوهام من الشيطان أوقع في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ، وليس هو الرسول، ولذلك دائماً يأتي أحد يقول: رأيت الرسول ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢ - ٤٠٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٢٩/١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥/٦ - ٢٦.

وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا وصفه، إذا أوصافه، لا تطابق أوصاف النبي ﷺ مع أنه في منامه وقع عليه أنه النبي ﷺ، لكن إذا تحدث عن أوصافه، فإذا هو ليس النبي ﷺ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ)[١].

قال ابن حجر: (إن الله تعالى وإن أمكنه [أي أمكن الشيطان] من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ، وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها، ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال: لا بد أن يراه على صورته التي قبض عليها، حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة، والصواب التعميم في جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقية في وقت ما، سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره، وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي)[٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/١٢.

الحديث رقم (٨٤١)

٨٤١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((إِذَا رَأَى أحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا، فَإنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا.

(وفي رواية: فَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا إلاَّ مَنْ يُحِبُّ)[1].

وَإذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فإنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ؛ فَإنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الراوي المعنى في صورة خبرية أكدها بـ (أن) مع اتصالها بالضمير العائد عليه ليلفت عناية المخاطبين لما يروي، وأنه يستحق الإنصات، والتعبير بالسمع رغبة في توثيق الخبر، وبداية كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب الشرط الذي يرتب الحمد لله على حصول الرؤية المحبوبة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (رؤيا) للتعظيم يدل على ذلك جملة الصفة بعدها (يحبها)، وأسلوب القصر بطريق إنما الذي يقصر الرؤية على كونها من عند الله، لا غيره، والفاء تلغي الزمن بين حصول الرؤية المحبوبة، وحمد الله، وهكذا عند حصول كل نعمة يجب أن

---

(١) هذه الزيادة هي المتفق عليه، أخرجها البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١/٤ عن أبي قتادة، وليس عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٨٥، ولم يروه مسلم عن أبي سعيد الخدري، وهو من أفراد البخاري كما في الجمع للحميدي ٤٥٨/٢، رقم ١٧٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٢ وعزاه إلى الترمذي، واستدرك عليه الناجي في عجالة الإملاء لوجوده في الصحيحين.

يرتب الإنسان عليها شكراً دون مهلة قد يستغلها الشيطان لينسيه إياه، ثم إنه من تمام شكرها التحديث بها لشرح صدور الأحباب بالخير المرجو.

أما الصورة المقابلة فهي رؤية الإنسان ما يكره، والعمل فيها عكس العمل في سابقتها عند الرؤية الصالحة، وقد استخدم أسلوب المقابلة لتقرير هذا المعنى حيث قابل بين الفعلين (يحب، ويكره) اللذين يظهران أبعاد الموقف النفسي عند كل رؤية، وبين (من الله، ومن الشيطان) اللذين يحددان مصدرهما، وبين (فاليحمد، وليستعذ) اللذين يقرران رد الفعل الصحيح، وبين فليحدث بها، ولا يذكرها) اللذين يدلان على إشاعة الخير، وقصر الشر، وجملة الختام (فإنها لا تضره) علاج نفسي يربِّت على قلب المؤمن، ويذهب عنه كيد الشيطان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام.

ثالثاً: من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه.

رابعاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على التفاؤل.

خامساً: من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام:

لقد أخبر النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة والحسنة من الله، وعلى الإنسان أن يقوم بواجب الشكر تجاه هذه النعمة، بأن يحمد الله عليها ويحدث بها، وفي رواية: (لا يحدث بها إلا من يحب).

قال ابن عثيمين: (الرؤيا الصالحة الحسنة إذا رأى الإنسان ما يحب فهذه من الله عز وجل، وهي نعمة الله على الإنسان أن يُريه ما يحب، لأنه إذا رأى ما يحب نشط وفرح وصار هذا من البشرى، فمن عاجل بشرى المؤمن الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له. ولهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤٢، ٨٤٣).

قال النبي ﷺ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[١]، هذه بشرى وخير، هي من الله عزّ وجل)[٢].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسرّ رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقاً به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك"[٣].

وقال ابن حجر: "ولمسلم[٤] في رواية من هذا الوجه: ((فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِرْ وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ))، وقوله: (فليبشر) -بفتح التحتانية وسكون الموحدة، وضم المعجمة- من البشرى. وقيل: بنون بدل الموحدة (لينشر) أي: ليحدث بها، وزعم عياض[٥] أنها تصحيف، ووقع في بعض النسخ من مسلم (فليستر) بمهملة من الستر".

وفي حديث أبي رزين عند الترمذي: ((ولا يقصها إلا على وادّ))[٦]، وفي أخرى: ((وَلاَ تُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ لَبِيباً أَوْ حَبِيباً))[٧]، وفي أخرى: ((لا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ))[٨]، قال القاضي أبو بكر بن العربي: "أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه، وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه. وأما اللبيب وهو العارف

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٤٧٩، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (أيها الناس لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له).

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٣٣/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٧/٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٣ - ٢٢٦١.

(٥) نقله عنه النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠/١٥/٨ .

(٦) بل هو عند أبي داود ٥٠٢٠، وابن ماجه ٣٩١٤، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ٣١٦٢، وقد أخرجه أحمد ١٦١٨٢/٢٦ فينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٢٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٨).

(٨) أخرجه الترمذي ٢٢٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٩).

بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت، وأما الحبيب فإن عرف خيراً قاله، وإن جهل أو شك سكت.

قلت: [القائل ابن حجر]: "والأولى الجمع بين الروايتين، فإن اللبيب عبّر به عن العالم والحبيب عبر به عن الناصح"(١).

وقال أبو عبدالله القرطبي عن قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: " ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(٢)، قال: "هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها"(٣).

قال ابن حجر: (حاصل ما ذكر من أبواب الرؤيا الصالحة ثلاث اشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره)(٤).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام:

وهذا واضحٌ من الأحاديث الثلاثة، قال ابن حجر: (وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء، أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شرّ الشيطان، وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً.

ووقع عند المصنف - أي البخاري- في باب القيد في المنام: عن أبي هريرة رضي الله عنه خامسة: وهي الصلاة، ولفظه: ((فمن رأى شيئاً يَكرَهه فلا يَقُصَّه على أَحد، ولْيَقمْ فلْيُصَلِّ))(٥)، لكن لم يصرح البخاري بوصله، وصرح به مسلم(٦).. وزاد مسلم سادسة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٦/٩/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١٢.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠١٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٢٦٣.

وهي التحول عن جنبه الذي كان عليه فقال: حدثنا قتيبة فساق إسناده عن جابر رفعه: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثاً. وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاَثاً. وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ))[(١)].

وفي الجملة فتكمل الآداب ستة، الأربعة الماضية والصلاة والتحول.... وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور: فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح، وهي مشروعة عند كل أمر يكره، وأما الاستعاذة من الشيطان، فلما وقع في بعض طرق الحديث أنه منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه، وأما التفل فقال عياض[(٢)]: أمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيراً له واستقذاراً، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: [أي ابن حجر]: والتثليث للتأكيد..

قال النووي[(٣)]: "وأما قوله: (فإنها لا تضره)، فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا، كما جعل الصدقة وقاية للمال، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجوء إليه، ولأن في التحرم بها عصمة من الأسواء، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة، لقرب المصلي من ربه عند سجوده، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها"[(٤)].

ثالثاً- من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه:

لقد أرشد النبي ﷺ في هذه الأحاديث المدعوين إلى الآداب التي يتبعونها عند الرؤيا الصالحة وعند الرؤيا المكروهة، قال ابن حجر: "قوله: (فلا يحدث بها إلا من يحب)، إن الحكمة فيه أنه إذا حدث بالرؤيا الحسنة من لا يحب، قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضاً وإما حسداً، فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٦٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٠٧/٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨//١٥/١٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٧/١٢ - ٢٨٨.

ونكداً، فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك"[١].

ونقل ابن حجر قول أبي العباس القرطبي في المفهم[٢] في تفسير قوله ﷺ: (وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، قال القرطبي: "ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا، يعني ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين، هو المأمور بالاستعاذة منه، لأنه من تخيلات الشيطان وتشويشاته، فإذا استعاذ الرائي منه صادقاً في التجائه إلى الله، وفعل ما أمر به من التفل والتحول والصلاة، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك، ولم يصبه منه شيء، وقيل: بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائي بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء، والصدقة تدفع ميتة السوء، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. ولكن الأسباب عادات لا موجودات. وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائي ولكنه لا يجده في اليقظة، ولا ما يدل عليه، فإنه يدخل في قسم آخر، وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم، ثم يحصل النوم فيراه، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع"[٣].

رابعاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التفاؤل:

قال النووي: "قال الإمام المازري: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا، أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنه جعلها علماً على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر، فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره، كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علماً على المطر، والجميع

---

(١) المرجع السابق ١٢/٤٥٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٩ - ١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٣٨٩.

خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله ﷺ: (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان) لا على أن الشيطان يفعل شيئاً، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، هذا كلام المازري[1]. وقال غيره[2]: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف، بخلاف المكروهة، وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى وتدبيره وبإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها ويسر بها"[3].

كما أمر النبي ﷺ مَنْ رأى رؤيا حسنة أن يحدث بها، كما أرشد من رأى رؤيا يكرهها ألا يحدث بها أحداً، فضلاً عن إرشاده إلى ما يفعله حتى لا تضره، وفي هذا كله نشر للتفاؤل بين أوساط المدعوين ودفعهم إلى عدم التأثر بالرؤيا التي يكرهونها.

ولعل هذا ما يوضحه حال أبي قتادة الصحابي رضي الله عنه الذي روى حديث النبي ﷺ: ((الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُمُ منَ الشيطان فإذا حلَمَ أحدُكم حُلماً يخَافهُ فلْيَبصُق عن يَسارِهِ ولْيتعوَّذْ باللهِ من شرِّها، فإنها لا تضرُّه))[4].

فقد روي عن أبي قتادة رضي الله عنه هذا الحديث أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وهو من التابعين، قال: "إن كنتُ لأرى الرؤيا تمرضني، فلقيت أبا قتادة فقال: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي. حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))... الحديث[5].

وفي رواية لأبي سلمة قوله: (فإن كنتُ لأرى الرُّؤيا أثقلَ عليَّ من الجبلَ، فما هوَ إلا

(١) المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٩١/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢٠٦/٧ - ٢٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨ - ١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٩٢، ومسلم ٢٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٤ - ٢٢٦١.

أن سمعتُ هذا الحديثَ فما أُباليها)[١].

وفي رواية قال أبو سلمة: (كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا. غَيْرَ أَنِّي لاَ أُزَمَّلُ. حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ)[٢].

قال النووي: (أما قوله: أُزَمَّل، فمعناه: أغطى وألف كالمحموم، وأما أُعْرَى -فبضم الهمزة وإسكان العين وفتح الراء - أي أُحمُّ لخوفي من ظاهرها في معرفتي، قال أهل اللغة: يقال: عُري الرجل - بضم العين وتخفيف الراء- يعرى: إذا اصابه عُراء - بضم العين وبالمد- وهو نفض الحمّى وقيل: رعدة)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه جابر بن عبدالله ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ لِلأَعْرَابِيِّ: ((لاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ))، وقال: سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال: ((لاَ يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ))[٤].

قال النووي: (قال المازري[٥]: يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منامه هذا من الأضغاث بوحي أو بدلالة من المنام دلته على ذلك، أو على أنه من المكروه الذي هو من تحزين الشياطين)[٦].

خامساً- من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد:

أما الشرط فواضح من أداتي الشرط: (إذا)، (فمن) والشرط يجعل المدعو منتبهاً لمعرفة ما يكون بعد أداة الشرط وفعل الشرط، لأنه هو المطلوب غالباً، فجاء جواب الشرط ليبين ما على المدعو أن يفعل إذا رأى رؤيا صالحة أو رأى رؤيا مكروهة. وجاء

(١) أخرجه البخاري ٥٧٤٧، ومسلم ٢ - ٢٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨، ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥ - ٢٢٦٨.

(٥) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٧/٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٨/١٥/٨.

الإخبار في قوله ﷺ: (الرؤيا الصالحة من الله)، ليبشر من رآها، وأكد ذلك بأن صاغها ﷺ في أسلوب القصر: (فإنما هي من الله تعالى)، وكذلك في قوله: (الحلم من الشيطان)، لينبه على أنها لا تضر الإنسان، لذلك جاء ﷺ بالقصر والتوكيد: فإنما هي من الشيطان، فإنها لا تضره.

الحديث رقم (٨٤٢)

٨٤٢- وعن أَبي قَتَادَة ﷺ، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ -(وفي رواية: الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ)[1]- مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأى شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن شِمَالِهِ ثَلاثاً، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فإنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(النَّفْثُ): نَفْخٌ لَطِيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الحُلم: الرؤيا والحُلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغَلَب الحُلم على ما يراه من الشر والقبيح، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[3].

فلينفث: النَّفْثُ: نفخ لطيف لا ريق معه[4].

الشرح الأدبي

تحديد مصدر الرؤية راحة نفسية، وسكينة في القلب في حالة الرؤية الصالح، وفي حالة الرؤية المكروهة، أما في حالة الرؤيا الصالحة، فإنه إذا علم مصدرها وأنها من عند الله اطمأن إلى تحققها، وزاد رجاؤه لخيرها، أما في حالة الرؤيا المكروهة فمعرفة مصدرها يذهب حزنه مما رأى؛ لأنه إذا علم أنها من الشيطان، علم أنها لا تضره، لذلك قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة، وحدد مصدر كل

---

(١) عند البخاري برقم ٧٠٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٩٢ واللفظ له، ومسلم ٢/٢٢٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٣.

(٣) النهاية في (ح ل م).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٣.

رؤية، ثم قرر بأسلوب الشرط ما يجب على الإنسان في الحالتين بأسلوب الأمر (فلينفث، وليتعوذ) وتقييد الفعل الأول بالجار، والمجرور (عن شماله) لأنها جهة يحبها الشيطان، ويكون عليها، والفعل الثاني بالجار، والمجرور (من الشيطان) ؛ لأنه مصدرها؛ ونحن لا نراه فعلّمنا أن نستعين بمن يراه، ويرد كيده، وقد علل لذلك بأنها لا تضره، وقد أكدها بأكثر من مؤكد لكي ينزع وساوس الشيطان من النفس، ويردّها نفساً مطمئنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٤٣)

٨٤٣- وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثاً، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه في كل مناسبة، وعند كل حاجة لاسيما في الأمور التي تتخلف فيها القدرة البشرية، ولا يكون للإنسان فيه تصرُّف، كعالم الرؤى، والأحلام، لذلك وضع الرسول ﷺ حلولا يجد فيها المؤمن ما يذهب عنه ما قد يعتريه مما يكرهه في هذا العالم، وبداية كلام الرسول ﷺ بأسلوب الشرط الذي يرتِّب البصق على حصول الرؤيا المكروهة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، لأنها من الشيطان، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، وأن كل فردٍ معرَّض لذلك، وجملة (يكرهها) جملة حالية تكشف عن الوجهة النفسية للرائي، وقد وضع له النبي ﷺ العلاج الناجع في ثلاث خطوات، الأولى: قوله (فليبصق)، والفاء في جواب الشرط، واللام للأمر، وتحديد جهة اليسار؛ لأنها جهة الشيطان، وعطف فعل الاستعاذة عليه استكمالاً للعلاج النفسي الذي وضعه النبي ﷺ لهذه الحالة، لأن الإنسان في نومه لا يملك نفسه وليس له قدرة يتصرف بها في عالم الرؤى، فإذا رأى ما يكره استعاذ بمن له القدرة على ذلك فتسكن نفسه،

---

(١) برقم ٢٢٦٢/٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨١.

وتذهب مخاوفه، ثم استكمل أركان العلاج بأمره (وليتحول) ينتقل عن جنبه الذي رأى عليه هذه الرؤية، مفارقة حسية للجهة التي عبث به الشيطان فيها، بعد المفارقة المعنوية بالاستعاذة بالرحمن.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٤٣) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤١، ٨٤٢).

الحديث رقم (٨٤٤)

٨٤٤- وعن أَبي الأسقع واثِلَةَ بن الأسقعِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أعْظَمِ الفِرَى أنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيرِ أبيهِ، أَوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، أسلم سنة تسع قبل غزوة تبوك والنبي ﷺ يتجهز لها، وشهدها مع النبي ﷺ، وكان من فقراء المسلمين، لذا كان من أهل الصفة، وقد وصفهم فقال: كنا أصحاب الصفة ما منّا رجل له ثوب تام ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار، إذ أقبل علينا النبي ﷺ فقال: ليبشر فقراء المهاجرين[(٢)].

وقد نال شرف أن يكون من أهل بيت النبي ﷺ، فقد قال: إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساءً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قلت: يا رسول الله: وأنا؟ قال: وأنت. فوالله إنها لأوثق عمل عندي[(٣)].

وفي رواية: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي قال: إنها لمن أرجى ما أرتجي[(٤)].

ولما قبض النبي ﷺ انتقل إلى الشام وسكن بها وكان يشارك في الفتوحات، فقد شارك في فتح دمشق وحمص وغيرهما.

---

(١) برقم ٢٥٠٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥٧/١٧ آ. مخطوط وقال محققو السير: ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٠٢/١٩-١٠٤، والطبراني في الكبير ٢٦٦٩، ١٥٩/٢٢ وقال الذهبي في السير ٣٨٥/٣: حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٩٧٦ والطبري في التفسير ١٠٤/١٩.

وله موقف بطولي في فتح دمشق يدل على شجاعته وجرأته، فقد مكث بجانب بابها بحيث لا يراه أحد من الروم، فلما خرجوا، حمل عليهم وكبّر، فظنوا أنهم أحيط بهم، فانهزموا ورجعوا إلى مدينتهم ولما عرفوا أنه وحده تبعوه ليقتلوه، لكنه قتل منهم، ثم جاء إلى خالد بن الوليد، فوجد عنده أحد كبار الروم يلتمس منه الأمان لأهل دمشق.

وقد طال عمره ومات في دمشق في خلافة عبدالملك بن مروان سنة ٨٣هـ. وقيل: ٨٥هـ وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة. وقيل مات ببيت المقدس[١].

غريب الألفاظ:

الفرى: جمع فرية: الكذبة العظيمة[٢].

يدعى الرجل إلى غير أبيه: هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه، فنهي عنه وجعل الولد للفراش[٣].

الشرح الأدبي

كثافة المؤكدات في بداية حديث رسول الله ﷺ ينبيء بخطر ما بعده، وأنه يجب أن تتوفر عليه الأسماع، وأن تفطن له العقول، وقد صدَّر الخبر بأفعل التفضيل (أعظم) المضافة إلى لفظ منفر ارتقت به درج عظائم الذنوب، واستقرت فوقها (الفرى) وهو: جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة التي يتعجب منها لما يترتب عليها من أذى يتعدى

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٧/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٩/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٣، والسير ٣٨٣/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٠/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٧/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٦١/٣.

(٢) النهاية في (ف ر ى)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٣) النهاية في (د ع ى).

ضرره الفرد إلى الجماعة، وقوله (أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ) أي ينتسب إلى غير أبيه، وهو خلط في الأنساب، وضياع للحقوق، ثم عطف عليه نوعاً ثانياً من أنواع الكذب وهو (أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ) وذكر العين مع دلالة الرؤية عليها فيه توكيد للفعل وهي آلته، وقوله (يُري) أي يدعي الرؤية، وكان هذا من أعظم الكذب؛ لأن الرؤيا جزء من النبوة، والنبوة لا تكون إلا وحيا، والكاذب في الرؤيا يدعي أن الله أراه ما لم يره وأعطاه جزءاً من النبوة، ولم يعطه، والكاذب على الله أعظم فرية ممن كذب على غيره، ولذلك قُدِّم على الكذب على رسول الله ﷺ في قوله: (أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ) والتعبير بـ (على) يفيد الاستعلاء، وتجاوز الحد، وذكر الرسول ﷺ بصفة الرسالة، ثم إضافته لله تعظيم لجرم هذا الكاذب على من هذه صفته، ولأن الكاذب على الرسول ﷺ مضلل للأمة لذا أُدرج ضمن أعظم الفرى ترهيباً من الإقدام عليه.

فقه الحديث

في الحديث ما يلي من أحكام:

الحكم الأول: من انتسب إلى غير أبيه: إن من الكبائر التي حذر منها الشارع لما يترتب عليها من المفاسد وتغيير ما شرع الله تعالى، أن ينتسب المرء إلى غير أبيه، أو يدعى ابناً ليس ابنه، وهو يعلم أنه كاذب فيما ادعاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر))[1]، والكفر المذكور في الحديث له تأويلان ذكرهما النووي: أحدهما: أنه في حق المستحلّ.

والثاني: أنه كفر النعمة والإحسان وحق الله تعالى وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج عن ملة الإسلام[2]، وكذلك الحكم لمن ينفي نسب ابنه وهو يعلم كذبه[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٨، ومسلم ٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/٥٠ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/٣٤.

الحكم الثاني: الكذب في الرؤيا: حذّر الشارع من الكذب في الرؤيا ونهى عنه، لأنه لما كان المنام جزءاً من الوحي، كان المخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يُلْقه إليه، أو لأن الله يرسل ملك الرؤيا فيرى النائم ما شاء، فإذا أخبر عن ذلك بالكذب، يكون كاذباً على الله وعلى الملك[١].

الحكم الثالث: الكذب على رسول الله ﷺ: الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[٤]. قال ابن حجر الهيتمي: (عدّ هاتين كبيرتين هو ما صرحوا به وهو ظاهر، بل قال أبو محمد الجويني: إن الكذب على النبي ﷺ كفر، وقال بعض المتأخرين: وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ورسوله كفر يخرج عن الملة، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك)[٥].

قال النووي: (وكما يحرم تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فإنه يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه، ولم يتبيّن حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكذابين على رسول الله ﷺ)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٢/٦ .

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٩٧/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١/١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/٣٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ.

خامساً: من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إن من أعظم الفرى...." وجاء التوكيد هنا ليبين شناعة هذه الأمور الثلاثة وخطورتها، وهذا ما يشعر بوصفها بأنها من الفرى "وهو جمع فرية، والفرية الكذب والبهت، تقول: فرى -بفتح الراء- فلان كذا، إذا اختلق"[(١)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب:

هذا واضح من وصف الادعاء إلى غير الأب بأنه من أعظم الكذب. قال ابن حجر: (وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة، وهي الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآه، والادعاء إلى غير الأب، والكذب على النبي ﷺ)[(٢)].

وقد قال ﷺ: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار))[(٣)].

وقال ﷺ أيضاً: (من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[(٤)]، قال ابن حجر: (وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٥.

(٢) المرجع السابق ٦/٦٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٠٨، ومسلم ٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

غيره. وقيد في الحديث بالعلم، ولا بد منه في الحالتين إثباتاً ونفياً، لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر، ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى لشيء ليس هو للمدعى، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها، مالاً وعلماً، وتعلماً ونسباً، وحالاً وصلاحاً، ونعمة وولاءً، وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة عليه)[1]. وإنما كان ادعاء المرء إلى غير أبيه من أعظم الكذب، لأن المدعى إلى غير أبيه كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان، وإنما خلق من ماء غيره، وفي هذا الادعاء ما يشوش على الأنساب والأعراض والولوغ فيها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام:

وهذا واضح من نص الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((من تحلَّم بحلم لم يَرَه كلِّف أن يَعقدَ بين شَعيرتَين، ولن يَفعَل))[2]. وقال ﷺ أيضاً: ((من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر))[3]. قال ابن حجر: (ومعنى نسبة الرؤيا إلى عينيه مع أنهما لم يريا شيئاً، أنه أخبر عنهما بالرؤية وهو كاذب: وقد تقدم بأن كون هذا الكذب أعظم الأكاذيب في شرح الحديث الذي قبله "أى حديث ابن عباس)[4].

وقد قال ابن حجر: (وأما الكذب على المنام فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من[5] أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٥، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٣٢٧، ٢/١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٤٩.

(٥) هكذا في المطبوع والأولى: "مع".

﴿كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[(١)]، وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله لحديث "الرؤيا جزء من النبوة"[(٢)]، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى، انتهى ملخصا،... والحق أن التكليف المذكور في قوله "كلف أن يعقد" ليس هو التكليف المصطلح، وإنما هو كناية عن التعذيب)[(٣)].

وقال ابن هبيرة: (أما كون التمحلم في نومه يكلف العقد بين شعيرتين فكأنه الذي أرى عينيه ما لم تريا، كلف عمل ما لا ينعمل؛ عذاباً له من جنس ذنبه)[(٤)].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[(٥)].

قال ابن حجر: (والحكمة في التشديد في الكذب على النبي ﷺ واضح، فإنه إنما يخبر عن الله، فمن كذب عليه كذب على الله عز وجل، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾[(٦)]، فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر، وقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[(٧)] ... فالذي يكذب على النبي ﷺ ينسب إليه شرعاً لم يقله. والشرع غالباً إنما تلقاه النبي ﷺ على لسان الملك، فيكون

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) الحديث بلفظ: "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٧/١٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٦/٣ - ١٩٧، وانظر كذلك: الإفصاح ٢٤٣/٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٩٣.

(٧) سورة الزمر، آية: ٦٠.

الكاذب في ذلك كاذباً على الله وعلى الملك)[1].

وقال النووي عن حديث "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" قال: (وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية من الصحة، وقيل: إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن النبي ﷺ نحو من أربعين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، ... واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد: ...

الثاني: تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله. هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف.

الثالثة: أنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه، كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك، فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع.

الرابعة: يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ)[2].

خامساً- من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب:

هذا واضح من تنفير الحديث من الكذب والادعاء والافتراء. قال ابن القيم: (وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٦

(٢) شرح مسلم مج١/١/٧٤-٧٦، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤ /٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، فهم الرفيق الأعلى (وحسن أولئك رفيقا) ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده، إحسانا منه وتوفيقا)[2].

وقال عبدالرحمن حسن حبنكة: (تبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية تعتمد على صدق الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حقيقة أخبارهم. ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب، لندرك مدى تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده)[3].

وقال د. مصطفى السباعي: (قال عبدالله بن المقفع: "إن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً، لأن الكذب الذي يجري على لسانه، إنما هو من فضول كذب قلبه، وإنما سُمِّي الصديق من الصدق".

وهذا حق، فإن الكذاب لن تكون أخوته صادقة، ولا معاملته صادقة، ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيماً صادقاً، ولا حاكماً صادقاً، ولا موظفاً صادقاً، ولا عاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً.

ومن هنا لم يُجمع علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه برذيلة كرذيلة الكذب وخطره على الأفراد والجماعات.

ولو استعرضت مشاكل العالم كله، لوجدتها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب: كذب السياسي على شعبه، وكذب الرئيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه،

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣/٥-٦

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢٢٥.

وكذب النائب على ناخبيه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة، واستفاضت الثقة، واطمأن الناس بعضهم إلى بعض، فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات، لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث، والمواثيق والعقود والمعاملات.

عيّن أبو بكر في خلافته عمر للقضاء بين الناس، قالوا فمكث عمر سنة لا يختصم إليه اثنان! أترى هذا لأن الناس في عهد عمر لم تكن طبائعهم من طبائع البشر التي تختلف وتتنازع، أم ترى ذلك لأن الناس في عهد عمر لم يكن لهم شيء يختصمون عليه ويتنازعون؟ كلا! لا هذا ولا ذاك، وإنما هو الصدق الذي يحجز كل واحد من المتنازعين عن أن يصور الخلاف لنفسه كما يشتهي، بل يصوره كما هو في الواقع والحق، فإذا هو ينتصف من نفسه إذا كان ظالماً، ويرد الحق إذا كان معتدياً، ويتسامح إذا كان مجنياً عليه، وبهذا لم يحتج الناس إلى عمر ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

وما بالنا نذهب بعيداً في أعماق التاريخ، ونحن كنا نشاهد حتى الأمس القريب كيف كان الناس يتعاملون بالثقة، ويتبايعون بالصدق، فلا أيمان ولا مواثيق ولا صكوك ولا سندات، كان التاجر يسافر من حلب إلى دمشق، في عصر لم يكن فيه غير الجمل والبغل والحمار وسيلة للسفر، وكانت الطرقات غير آمنة من اللصوص يحمّلونه أكياس الذهب ليسلمها إلى عملائهم في دمشق، من غير أن يأخذوا منه إيصالاً أو سنداً أو وثيقة، فيسلمها إلى أصحابها دون أن يأخذ منهم إيصالاً أو توقيعاً. وإننا نرى اليوم بأعيننا حقوقاً تنكر، وأموالاً تهدر، وتجاراً يعلنون الإفلاس رغم كل ما قدموه لأصحاب الأموال من رهن وتوثيق في البنوك والمصارف. فهل ترى سبباً لهاتين الحالتين المتباينتين، بين الأمانة في عصر آبائنا، والخيانة في عصرنا، إلا كثرة الصدق في عهدهم، وفشو الكذب في عهدنا؟

إن الصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الاجتماع، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد والجماهير، فالزعيم الصادق أنجح

الزعماء مسعى وأكثرهم أتباعاً، والسياسي الصادق أكثر السياسيين تأييداً من الشعب وأجلهم في عيونه مقاماً، والتاجر الصادق أكثر التجار زبائن وأكثرهم ربحاً، وحسبك أن ترى نفسك مسوقاً –حين تريد ابتياع سلعة من السلع – إلى أن تفتش عن متجر عرف صاحبه بالصدق لتدفع له ثمن سلعته كما يريد، وإذا أردت أن تُوكل محامياً في دعوى، سألت عن أصدق المحامين وأوثقهم، لتكل إليه أمر قضيتك وأنت مرتاح البال مطمئن النفس.

ولقد رأينا في حياتنا السياسية، أن الأزمات حين تشتد، لا يحلها إلا رجال عرفوا بالصدق في حكمهم، فتسعى إليهم الأحزاب المختلفة، ملقية بين أيديهم زمام الحكم ثقة منها بصدقهم وأمانتهم وتجردهم، والأمانة والتجرد نوعان من الصدق العملي.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، ولقد كانت أمتنا في عصور الخير والمجد، من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية، التي توقع في عصرنا الحاضر بين الدول، ثم لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عليه، والحبر الذي سجلت به.

ومن هنا كانت الأزمة التي يعانيها العالم اليوم، أزمة الثقة بالوعود والأقوال. إن منبر هيئة الأمم ليشهد كل يوم زعماء الدول الكبرى يتبارون في الدعوة إلى السلام، والتنفير من الحرب، والتشهير بالعدوان، ما لو صدقوا فيه جميعاً لما كان على وجه الأرض نزاع ولا شقاء ولا حروب. ولكنهم جميعاً لا يثق بعضهم ببعض، وكل واحد منهم ينطوي في قرارة نفسه على الشك بصدق ما يقول الآخرون. وبذلك أخفقت المؤتمرات وفشلت المفاوضات، بل فشلت هيئة الأمم نفسها في تنفيذ مبادئها التي أعلنتها، لأن أقوى الدول فيها يكذب على أضعف الدول فيها، بما تسرف من وعود، وبما تقول من أحاديث.

وقل مثل ذلك في حياتنا السياسية، فلو كان زعماؤنا ورجال أحزابنا يثق بعضهم بأقوال بعض، لما وصلنا إلى هذه الحال المؤسفة من الفوضى وعدم الاستقرار. وإلا ففيم تختلف الأحزاب في مبادئها وغاياتها؟ وهب أنها اختلفت، ففيم تتقاتل ويسب بعضها بعضاً؟ إنه فقدان الثقة بالأقوال والأحاديث والخطب. يجعل كل فريق يقف من الآخر موقف الذي يشك ولا يثق، ويتهم ولا يبرئ، ويسيء الظن ولا يحسنه.

نستطيع إذاً أن نؤكد مرة أخرى أن مشكلة العالم كله اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب. الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، والكذب في المظاهر، فليس غريباً إذاً أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين، وأكثرهم تنويهاً بالصدق والصادقين.

فما أجدر الساسة والزعماء ورجال الأحزاب، بأن يتحلوا بالصدق، لتستقيم حياتهم فتستقيم حياة الأمة، وما أجدر الناس من تجار وعمال وموظفين ومتعلمين أن يتحلوا بالصدق، لتعود إلى النفوس ثقة فقدناها، ففقدنا الأمن والحب والسعادة والاستقرار. وما أجدر المربين أن يربوا أبناءنا وبناتنا على الصدق، حتى ينشأوا كراماً مطبوعين على الجرأة والعفة والأمانة، وليحذر الآباء، والأمهات، من أن يكثروا الكذب على أطفالهم أو يعودوهم عليه)[1].

(١) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ٨١-٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإخبار من طريق الرؤيا لا يتأتى إنكاره، وليس من حق أحد أن ينكر على من رأى شيئًا في منامه فأخبر به، لأن دائرة الروح تكون أوسع، ولهذا حرم الكذب في ادعاء المسلم رؤية لم يرها في المنام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أساليب التربية: التبشير:

ورد أسلوب التبشير في أحاديث الباب في عدة مواطن منها قوله ﷺ عن الرؤيا: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، ومع أن الرؤيا غالباً ما تكون للتبشير وتكون أيضاً للإنذار إلا أن النبي ﷺ في الحديث غلب أسلوب التبشير فقال ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، كما تكرر أسلوب التبشير أيضاً في تبشيره ﷺ لمن رآه في المنام أن يراه يوم القيامة، وكذلك تكون الرؤيا له ﷺ بمثابة الرؤية له في الدنيا إضافة إلى ما في رؤيته ﷺ في المنام من الاستبشار بترقٍ في الدين وزيادة في الخير.

لقد كان التبشير من أساليب التربية عند رسول الله ﷺ مع ما يقارن ذلك من التيسير والتخفيف، وذلك كله من وسائل التحفيز والدفع إلى عمل الخير.

"فلا بد للمربين من سلوك منهج التيسير والتبشير مع المتربين، فتيسير الأمور وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير، حتى تغمر قلوب المتربين الفرحة وتعم نفوسهم البهجة ولا يشعرون بثقل التكاليف والواجبات عليها.

إن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفِّرة، وتؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة وإيجاد مساحات كبيرة بين المربين والمتربين يصعب الالتقاء عليها"[1].

---

(١) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، الطبعة الأولى، مكتبة الرشيد، بغداد، ١٩٩٤م، ص١١.

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل والأخلاق الحسنة في التلاميذ:

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتزكية الأنفس والأرواح، ومن هذه الأخلاق خلق الصدق والذي حث عليه النبي ﷺ، وربى عليه أتباعه، ومن شواهد ذلك ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن انتساب الرجل إلى غير أبيه فذلك من أكبر ألوان الكذب والتدليس على الناس والمجتمع بأسره، وكذلك الكذب في الرؤيا والادعاء برؤيا لم تحصل، وكذلك الكذب والتقوُّل على رسول الله ﷺ بما لم يقل، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أَبيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَه مَا لَمْ تَرَى، أو يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يُقَلْ».

لذا كان من الواجب على المعلمين والمربين أن يغرسوا في نفوس التلاميذ الأخلاق الكريمة حتى يعتادوا عليها وتكون سجية لهم ومنهاجاً في حياتهم.

"إن المربي الحق والمعلم الناجح هو الذي يُطَبِّع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك"[1].

ودور التربية في ترسيخ الأخلاق وتربية النشء عليها يمر بمرحلتين أولاهما مرحلة التنقية وأخراهما التحلية، "فبناء الخلق الحسن في النفس لابد أن يصاحبه تنقيتها مما ترسب لديها من الأخلاق السيئة أو ما يسمى بـ: "التخلية ثم التحلية"، ذلك أن المتربي قد ينشأ في بيئة يغلب عليها الخلق السيئ أو يصحب صحبة غير صالحة فيألف الخلق السيئ ويصبح جزءاً من طبيعته، ومن ثَمَّ لابد من جهد يبذل في اقتلاع هذه الصفات وتنقية النفس منها"[2].

ثالثاً- من مسئوليات المربي تجاه المتربين: النصح والإرشاد:

إن من مسئوليات المربي تجاه المتربين النصح والإرشاد ودلالتهم على الحلول والعلاج لما يعرض لهم وما ينزل بهم.

---

(١) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهوائي، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص١٣.

(٢) تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٤٨.

فنجد أن الرسول ﷺ بين ما ينبغي فعله إذ رأى الإنسان رؤيا مع مراعاة التفاوت بين ردود الفعل تبعاً لتفاوت الرؤيا بين مُفرح فيحمد الله عليها، ويُحدِّث بها، ومُحزن فيستعيذ بالله من شرها ويكتمها، فقال ﷺ: «إذا رأى أحَدُكُمْ رُؤْيا يُحِبُّها، فإنَّما هيَ مِنَ اللَّهِ تعالى، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ تعالى عَلَيها ولْيُحَدِّثْ بها». وفي رواية: ـ فلا يُحَدِّثْ بها إلاَّ مَنْ يُحِبُّ ـ وإذا رأى غيرَ ذلكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإنَّما هيَ مِنَ الشَّيْطانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّها ولا يَذْكُرْها لأحَدٍ فإنَّها لا تَضُرُّهُ»، كما نلاحظ أن الرسول ﷺ كان لا يقتصر على مجرد الإجابة على ما يعرض عليه من أسئلة واستفسارات، وإنما كان يزيد على ذلك بإعلام الصحابة بكيفية التعامل مع ما يعرض لهم وإن لم يسألوا عنه بعد.

كما في أحاديث الباب في بيان الرسول ﷺ لما ينبغي فعله من الإنسان إذا رأى رؤيا، وكأني برسول الله ﷺ خشي على المسلمين أن يرى أحدهم رؤيا تحزنه دونما أن يكون له سابق علم بكيفية إذهاب ذلك الحزن فعلمهم، وإن لم يسألوه.

"إن من حق المتربين والتلاميذ على من عُهد إليهم بتربيتهم ألا يدعوا من نصحهم شيئاً، فيرشدونهم ويقدمون لهم العون التثقيفي والتربوي والنفسي، ويعملون على إشباع حاجاتهم وتحقيق الاستقرار النفسي والروحي لهم.

كما ينبغي على التلاميذ والمتربين طاعة الوالدين والمعلمين والمؤدبين والواعظين والخطباء فهم أكثر خبرة منهم وأكثر إدراكاً لمصلحتهم وأكثر وعياً بقدراتهم وإمكانياتهم واستعداداتهم وميولهم وأكثر فهماً لأمانيهم وميولهم ومشكلاتهم"(١).

قال ابن تيمية وهو أحد أساطين التربية الإسلامية البارزين في تاريخ المسلمين "وعلى المعلم أن ينصح للمتعلم ويجتهد في تعليمه وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه، فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه"(٢).



(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد ١٣٧-١٤٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٣/٢٨.